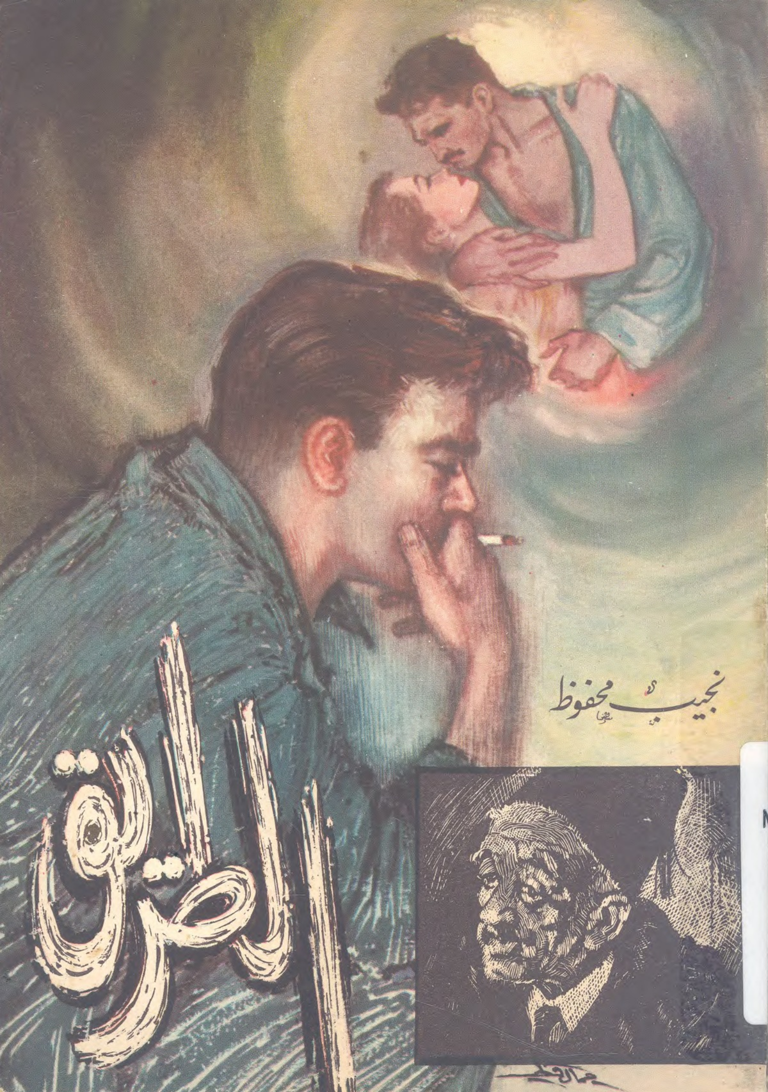


نجيب محفوظ
الطريق

# الطريق




# الطريق

نجيب محفوظ

الناشر : مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي "الفجالة"

دار مصر للطباعة

# ١

اغرورقت عيناه . رغم ضبطه لمشاعره وكراهيته أن يبكي أمام هؤلاء الرجال اغرورقت عيناه . وببصر مائع نظر الى الجثمان وهو يحمل من النعش الى فوهة القبر . بدا فى كفنه نحيلا كأن لا وزن له ، شد ما هزلت يا أماه ، وتوارت عن ناظريه تماما فلم يعد يرى الا ظلمة وسطعته رائحة التراب ، ومن حوله احتشد الرجال ففاحت أنفاس كريهة وعرق ، وفى الحوش خارج الحجرة ارتفع لغط النساء ، وانفعل برائحة التراب حتى عافت نفسه كل شيء . وهمّ بالانحناء فوق القبر ولكن يدا شدت على ذراعه وصوتا قال :

ـ تذكر ربك . .

تقزز من ملمسه ولعنه من الأعماق . هذا خنزير كسائر من حوله من الخنازير . ولكن لحظة الوداع استردته بوخزة كالندم ، وقال ان معاشرة ربع قرن من الزمان لا تعنى فى هذه اللحظة شيئا ولا تساوى شيئا . وتردد من بعيد صوت كالعواء ثم دخل الحجرة طابور من العميان فطوقوا القبر فى نصف دائرة ثم جلسوا القرفصاء . وشعر بأعين كثيرة تحدق فيه أو تسترق اليه النظرات ، انه يعرف ما تعنيه هذه النظرات . وشد قامته الفارعة الرشيقة فى عناد . يقولون لم يقف هكذا غريبا فى منظره وملبسه كأنه ليس واحدا منا . لمَ نحّته أمه عن بيئته ثم تركته وحيدا ؟ . انهم لا يعزونك ولكنهم يداورون شماتتهم بك . ومذاق الحياة أمسى كالتراب . وبرز من الفوهة الترابى ومساعده فوقفا فوق سطح الأرض مرة أخرى واقبلا يسدان القبر ثم يسويان الأرض فى نشاط وحيوية . ونادى السقاء على الماء . ورتل العميان . ثم ردد

رئيسهم التلقين . وتساءل عما ستجيب به أمه . وقال انها ستكون وحيدة حقا . وماذا يقول فى ذلك الخنازير ؟ . ها هو الخشوع يغشى جباههم كسحابة صيف . وادركه الضجر فتاق الى الوحدة فى بيته وألحت عليه رغبة فى أن يعيد النظر فى كل شىء . ستحدق الأسئلة المحرجة بأمه فى ظلام القبر . ولن يساعدها أحد من هؤلاء الشياطين ، ولكن يومكم سيجىء . وانخفضت الأصوات فى نغمة حزينة موحية بالختام ، ووقف الطابور فى حال انتظار وتقدم الترابى منه خطوات . عند ذاك قال الواقف الى يمينه :

ــ دعه لى فلا تحاسبه انى أدرى بهؤلاء الناس . .

وثار حنقه من جديد ولكنه أدرك أن الطقوس قد انتهت وتضاعف شعوره بالوحدة . وألقى على المقبرة نظرة شاملة فارتاح لأناقتها وتراءى له بين قضبان النافذة اللبلاب والصبار والريحان التى تزركش جدار الفناء والأركان . كانت رحمها الله تحب الرفاهية فأعدتها للدارين ولكن لم يبق لها الا المقبرة . وتحرك الناس فى بطء نحو الحوش فمضى الى الباب الخارجى ليودع المشيعين . وصافحته النساء أولا ، ورغم ثياب الحداد والبكاء واللطم لم تختف من أعينهن نظرات الفجور ولا زايلت جوهن القحة وفلتات التهتك . وتتابع الرجال ، شد حيلك وسعيكم مشكور ، من تاجر مخدرات الى بلطجى ومن برمجى الى قواد . وأتبعهم نظرة باردة وهو لا يشك فى انهم يبادلونه نفس العاطفة . ومع ذلك لم ينس أنه مدين لهم وهو ما يؤكد سخطه دواما . وقال انه قد انتهى منهم الى الأبد ولكنه بلا نصير . وفى طريقه الى مسكنه بشارع النبى دنيال لفحه هواء منعش معبق بأنفاس الخريف وبدت السماء غامضة فى مولد المغيب . مسكن النبى دنيال الذى شهد فترة بهيجة ناعمة من حياته ، ولا أثر للراحلة فى مسكنه الا صوان كبير ونارجيلة مهملة تحت فراشها المهجور . وجلس فى شرفة تطل على ملتقى النبى دنيال بسعد زغلول يدخن

سيجارة فجذب بصره استعداد قائم فى شقة على الجانب الآخر للطريق تسكنها أسرة افرنجية ، فثمة بوفيه رصت عليه القوارير وأوعية الثلج ، وفى نهاية البهو تعانق رجل وامرأة بحرارة لا تناسب الوقت المبكر . وقال انه ابتداء من اليوم سيعرف الحياة على حقيقتها . انه وحيد بلا مال ولا عمل ولا أهل ولم يبق له الا أمل غريب كالحلم . انه مطالب منذ اليوم بتأمين حياته ، وهى مسئولية لم يتحملها من قبل ، اذ نهضت بها أمه وحدها ، ففرغ هو طوال الوقت لامتاع شبابه اليافع . وامس فقط لم يكن يفكر فى الموت بحال . فى مثل هذه الساعة او قبل ذلك بقليل جاء الخنطور بأمه فغادرته معتمدة على ذراعه وسارت فى خطوات متثاقلة متخاذلة من الاعياء والضعف ، وقد وهنت وهزلت وكبرت ثلاثين عاما فوق عمرها الحقيقى الذى لم يجاوز الخمسين . هكذا تبدت بسيمة عمران فى آخر صورة لها ، وهى راجعة الى بيت ابنها ، أو البيت الذى أعدته لابنها ، بعد أن قضت فى السجن خمس سنوات . وتأوهت قائلة :

ــ أمك انتهت يا صابر ..

فحملها بين ذراعيه دون مشقة وهو يقول :

ــ كلام فارغ ، ما زلت فى عز الشباب ..

واستلقت على فراشها قبل أن تنزع قطعة من ملابسها ، ثم أمالت وجهها نحو مرآة الصوان . وقالت بحسرة وهى تنهج :

ــ أمك انتهت يا صابر ، من يصدق أن هذا الوجه هو وجه بسيمة عمران ! .

أجل . فى استدارة البدر كان . ووجنة موردة كالتفاح . وأما الجسد الجسيم الهائل فلم يكن ليهتز هزة واحدة عند القهقهة ، وقهقهتها كانت تهتز لها المجالس .

ــ لعنة الله على المرض ..

فقالت وهى تجفف وجهها بكمها رغم لطافة الجو :

ـ ليس المرض ولكنه السجن ، والمرض جاء من السجن ، أمك لم تخلق لذلك ، وقالوا الكبد والضغط والقلب ، الله يمرض عيشتهم ، ترى الا يمكن أن أرجع الى ما كنت ؟

ـ وأحسن ، عندك الراحة والطب ..

ـ والمال ؟!

وامتعض عند ذلك فلم ينبس ، فسألته :

ـ ماذا تبقى لك منه ؟

لم يخل من حذر وهو يجيب :

ـ شيء لا يذكر ..

ـ كنت حكيمة عندما كتبت بيت راس التين باسمك والا لصادروه فيما صادروا من مالى ..

ـ ولكنى بعته عندما نفدت نقودى كما قلت لك وقتها .

فتأوهت وهى تضع راحتها على يافوخها :

ـ آه يا راسى ، ليتك أبقيت عليه ، كان فى يدك مال كثير ولكننى أنا ألتى عودتك على الحياة الحلوة ، أردت أن تعيش مثل الأكابر ، وأردت أن أترك لك ثروة لا يغرقها البحر ، ثم ..

ـ ثم ضاع كل شيء فى خبطة واحدة ..

ـ نعم ، منهم لله ، انتقام وضيع من رجل وضيع ، رجل طالما تنعم بنقودى ، ثم حقد على بسبب بنت لا تساوى ثلاثة ملاليم فتذكر فجأة الواجب والقانون والأعراض وأوقع بى ابن الزانية ، لذلك بصقت على وجهه فى المحكمة ..

وطلبت سيجارة باشارة من يدها فأشعل لها سيجارة وهو يقول :

ـ الأفضل الا تدخنى الآن ، هل كنت تدخنين هناك ؟

ـ سجائر وحشيش وأفيون ، ولكنى كنت قلقة عليك دائما ..

ودخنت رغم تهافتها ، وجففت وجهها وعنقها بيدها الأخرى :

ــ وماذا عن مستقبلك يا بنى ؟

ــ كيف لى ان ادرى ؟ ، ليس امامى الا ان اعمل برمجيا أو بلطجيا أو قوادا .. !

ــ انت !

ــ حق انك علمتنى حياة أجمل ولكنى اخشى الا يكون ذلك فى صالحى ..

ــ انت لم تخلق للسجون !

ــ وماذا فى الدنيا غير هذه الأعمال ؟

ثم مستدركا فى حدة :

ــ كم شمت بى الأعداء فى غيابك !

ــ صابر .. تجنب الغضب .. انه الغضب الذى ادخلنى السجن .فما كان اسهل على ان أرضى الوغد الذى غدر بى ..

ــ فى كل مكان أصادف من يستحق السحق ..

ــ دعهم يقولون ما يشاءون ولكن لا تستعمل قبضتك ..

فكور قبضته قائلا :

ــ لولا هذه القبضة لعرّضوا بى فى كل مكان ، ان أحداً لم يجرؤ على ذكرك بسوء أمامى حتى وأنت فى السجن ..

فنفخت الدخان فى غضب وقالت :

ــ أمك أشرف من أمهاتهم ، انى أعنى ما أقول ، الا يعلمون أنه لولا أمهاتهم لبارت تجارتى .. !

ابتسم صابر رغم الكآبة الشاملة فعادت تقول :

ــ انهم مهرة فى خداع الناس بمظاهرهم ، الوجيه فلان .. المدير فلان .. الخواجا علان .. سيارات وملابس وسيجار .. كلمات حلوة .. روائح زكية .. ، لكننى اعرفهم على حقيقتهم ، اعرفهم فى حجرات النوم وهم مجردون من كل شىء الا العيوب والفضائح ، وعندى حكايات ونوادر لا تنفد ، الأطفال الخبثاء القذرون الأشقياء ، وقبل المحاكمة اتصل بى كثيرون منهم ورجونى

بالحاح الا اذكر اسم أحد منهم ووعدونى بالبراءة ، مثل هؤلاء لا يجوز أن يعيروك بأمك فأمك أشرف من أمهاتهم وزوجاتهم وبناتهم ، وصدقنى انه لولا هؤلاء لبارت تجارتى ..

عاوده الابتسام فتأوهت قائلة :

ـ اين أيام الضحك اين ! ، أمك احبتك بكل قواها ، ولك اعددت هذا المسكن الجميل بعيداً عن جوّى كله ، وارسلت مالى يجرى تحت قدميك ، فاذا جاءتك منى اساءة لا حيلة لى فيها فلا ذنب لى ، وليس فى الرجال من له نصف جمالك ورشاقتك ، غير انه يجب أن تتجنب الغضب وان تتعظ بما جرى لى ..

رنا الى تعاستها بحزن ثم تمتم :

ـ سيعود كل شىء الى أصله ..

ـ أصله ؟!، أنا انتهيت ، بسيمة أيام زمان لن تعود ، ولاسبيل الى العمل من جديد ، لا الصحة تسمح بذلك ولا البوليس ..

ونظر فى الأرض قائلا :

ـ لم يبق من ثمن البيت الا القليل ..

ـ وما العمل ؟ ، يجب أن تعيش كما عودتك !

ـ لكنى لم أعرفك يائسة ابدا .

ـ الا هذه المرة ..

ـ اذن على ان أعمل او ان أقتل ..

أطفأت السيجارة ثم أغمضت عينيها اعياء او طلبا للتركيز فقال صابر :

ـ لا بد من مخرج .

ـ نعم طالما فكرت فى ذلك وأنا فى السجن ..

لأول مرة فى حياته تزعزعت ثقته فى أمه . واستطردت المرأة :

ـ أجل فكرت طويلا ، ثم اقنعت نفسى بأنه لا يصح ان اصر على الاحتفاظ بك ما دام ذلك فى غير مصلحتك ..

حدجها بنظرة متسائلة من عينيه السوداوين فتمتمت بنبرة اعتراف منهزمة :

ـ انت لا تفهم شيئا ولك حق ، الواقع ان الحكومة صادرتك ساعة صادرت اموالى ، لم يعد لى الحق فى امتلاكك انت ايضا ، ادركت ذلك يوم صدور الحكم . .

وصمتت من شدة معاناة اليأس ثم واصلت :

ـ معنى هذا انه يجب ان تهجرنى . .

تساءل بامتعاض :

ـ الى اين ؟

اجابت بصوت لا يكاد يسمع :

ـ الى ابيك . . !

رفع حاجبيه المقرونين فى ذهول هاتفا :

ـ ابى ؟ !

نهزت راسها علامة الايجاب فقال :

ـ لكنه ميت ، انت قلت انه مات قبل مولدى . .

ـ قلت ذلك ولكنه ليس من الحقيقة فى شىء . .

ـ ابى حى ! ، شىء مذهل حقا ، ابى حى !

وجعلت ترمقه بنظرة استياء ومضى هو يقول :

ـ ابى حى ! ، لكن لم اخفيت عنى ذلك ؟

ـ آه ، جاء دور الحساب . .

ـ ابدا ، ولكن الا يحق لى أن اسأل ؟

ـ أى أب فى الدنيا كان يمكن أن يهيىء لك من أسباب السعادة بعض ما هيأت لك . .

ـ لا انكر شيئا من هذا ابدا . .

ـ اذن فلا تحاسبنى واستعد للبحث عنه . .

ـ البحث ؟ !

ـ نعم ، انى أتحدث عن رجل كنت امرأة له منذ ثلاثين عاما ثم لم أعد أدرى عنه شيئا ...

قطب فى حيرة وتهاوى جذعه الذى اطلقه الانفعال :

ـ أمى ما معنى هذا كله ؟

ـ معناه انى أوجهك الى المخرج الوحيد من ورطتك ..

ـ لعله قد مات ..

ـ ولعله حى ..

ـ وهل اضيع عمرى فى البحث عن شىء قبل التـأكد من وجوده ؟

ـ ولكنك لن تتأكد من وجوده الا بالبحث ، وهو خير على أى حال من بقائك بلا مال ولا عمل ولا أمل ..

ـ موقف غريب لن احسد عليه .

ـ بديله الوحيد أن تعمل برمجيا أو بلطجيا أو قوادا أو قاتلا ، فلا بد مما ليس منه بد ..

ـ وكيف يمكن أن اعثر عليه ؟

تنهدت من الأعماق وهى تزداد تعاسة بالعودة الى الماضى .

ـ اما اسمه فهو المسجل فى شهادة ميـلادك ، سيد سيد الرحيمى ، وقد احبنى منذ ثلاثين عاما وكان ذلك فى القاهرة ..

ـ القاهرة ! ، ليس أيضا فى الاسكندرية !

ـ انى أعلم أن مشكلتك الحقيقية ستكون فى العثور عليه ..

ـ لم لم يبحث عنى هو ؟

ـ انه لم يعلم بك ..

قطب صابر واستقرت فى عينيه نظرة احتجاج مكفهرة فقالت :

ـ انتظر ، لا تنظر الى هكذا ، واسمع بقية الحديث عنه ، انه سيد ووجيه بكل معنى الكلمة ، لا حد لثروته ولا نفوذه ، لم يكن فى ذلك الوقت الا طالبا بالجامعة ومع ذلك كانت الدنيا تهتز لدى محضره ..

تابعها بنظرة تجلى فيها الاهتمام المشوب بالفتور فقالت :

ــ أحبنى ، وكنت بنتا جميلة ضائعة ، وحفظنى سرا فى قفص من ذهب ..

ــ تزوجك ..

ــ نعم ، وما زلت أحتفظ بشهادة الزواج ..

ــ ثم طلقك ؟

تنهدت قائلة :

ــ بل هربت !

ــ هربت ؟!

ــ هربت بعد معاشرة أعوام وأنا حبلى ، هربت مع رجل من أعماق الطين ..

بذهول وهو يهز رأسه :

ــ شىء لا يصدق ..

ــ وبعد قليل ستتهمنى بأننى المسئولة عن ورطتك ..

ــ لن أتهمك بشىء فحسبنا ما بنا ، ولكن ألم يبحث عنك ؟

ــ لا أدرى ، هربت الى الاسكندرية ثم لم أسمع عنه شيئا ، وكثيرا ما توقعت أن ألقاه يوما فى أحد بيوتى ولكن عينى لم تقع عليه ..

ضحك فى فتور ثم قال :

ــ وبعد ثلاثين عاما تدفعيننى للبحث عنه ..

ــ اليأس يدفعنا الى ما هو أغرب من ذلك ، وستكون معك شهادة الزواج وستكون معك أيضا صورة الزفاف ، وسوف ترى بعينك أنك صورة منه ..

ــ عجيب أن تحتفظى بالشهادة والصورة ..

ــ كنت أفكر فى مستقبلك ، وكنت فتاة فقيرة تعيش فى كنف بلطجى ، ولما أتانى النجاح صدقت نيتى على الاستئثار بك ..

ــ ومع ذلك لم تتخلصى من بقايا الذكريات ..

جففت وجهها وعنقها بحركة حادة ببعض الشيء وقالت :

ـ هممت بذلك مرات ثم عدلت ، كأن ركنا فيّ كان يتنبأ بما سيقع ..

راح يذرع الحجرة فى حيرة ثم وقف أمام السرير وهو يسأل :

ـ واذا بعد الجهد والتعب أنكرنى ؟

ـ من يرى بهاء صورتك وينكرك ؟!

عاد الى الجلوس وهو يقول :

ـ القاهرة مدينة كبيرة وأنا لم أزرها من قبل ..

ـ من قال انه اليوم فى القاهرة ؟ ، لم لا يكون فى الاسكندرية ، أو فى أسيوط أو دمنهور ، الحق انه لم يطلعنى على حال من أحواله ، أين هو اليوم ، ماذا يعمل ، أهو أعزب أم متزوج ؟ ، الله وحده يعلم ..

فلوح بيده كالغاضب وقال :

ـ وكيف يراد منى العثور عليه ؟

ـ ليس ذلك يسيرا بطبيعة الحال ولكنه ليس بالمحال ، وأنت لك معارف من ضباط البوليس والمحامين ، وليس من شخصية كبيرة الا ولها فى القاهرة مقام ..

ـ أخشى ان ينفد مالى قبل العثور عليه ..

ـ لذلك يجب الا تتوانى عن البحث ..

وتفكر قليلا ثم سأل :

ـ وهل هو يستحق يا ترى كل هذا التعب ؟

ـ بلا أدنى شك يا بنى ، ستجد فى كنفه الاحترام والكرامة ، وسيحررك من ذل الحاجة الى أى مخلوق بما سيهيىء لك من عمل غير البلطجة أو الجريمة ، فتظفر آخر الأمر بالسلام ..

ـ وان وجدته فقيرا !.. ألم تكونى انت غنية لا يحيط بثروتك حصر ؟.

ـ أؤكد لك أن المال ليس الا حسنة من حسناته ، وقد كنت



شيء يحـــدثني بأنه حي وبأنك اذا
لم تيأس لم تتوان فسوف تعثر عليه

غنية حقا ولكنى لم أهيىء لك كرامة ولا عملا ولا سلاما ، وكنت تسسير ملوحا بكالمتك لتخرس الألسنة المتوثبة للنيل منك ومن أمك . .

عاد الى التفكير فخيل اليه أنه يحلم ، ثم سألها :

ـ هل تؤمنين حقا بأننى سأعثر عليه ؟

ـ شيء يحدثنى بأنه حى وبأنك اذا لم تيأس أو تتوان فسوف تعثر عليه . .

هز رأسه وهو بين الحيرة واليأس وتمتم :

ـ هل حقا أمضى للبحث عنه ؟ ، واذا علم أعدائى بهذه الحكاية أفلن يجعلوا منى نادرة جنونية ؟!

ـ وماذا يقولون أذاوجدوك آخر الأمر قوادا ؟ ، الحق انه لا خيرة لك فيما أنت ذاهب اليه . .

اغمضت عينيها بعد ذلك وغمغمت « انى تعبة جدا » فرجاها أن تنام على أن يستأنفا الحديث غدا . وخلع حذاءها ثم غطاها ولكنها أزاحت الغطاء عن صدرها بحركة عصبية فلم يعده ، وما لبث شخيرها أن تردد . واستيقظ حوالى التاسعة من صباح اليوم التالى بعد ليلة سهاد ممزقة بالفكر . وذهب الى حجرتها ليوقظها فوجدها ميتة . ترى هل ماتت وهى نائمة أو أنها نادته آخر الليل فلم يسمع ؟ . على أى حال وجدها ميتة وهى لم تزل بالملابس التى غادرت بها السجن . وها هو الآن يتفحص بعناية ودهشة صورة الزفاف . الصورة التى جمعت بين والديه منذ ثلاثين عاما . وها هو يركز بصره على صـــورة ابيه ، على وجهه بالأخص . شاب جميل حقا ، مفعم بالشباب والحيوية ، ونظرته تفيض بالاعتـــداد بالنفس ، ووجهه المـــائل للبياض ، المستطيل الممتلىء ، ذو الجبهة العالية ، والطربوش المائل الى اليمين ، لا يمكن أن ينسى . ولم تكذب أمه حين قالت انه صورة منه والكنه كما يكون القمر على الورق صورة من القمر فى كبد السماء .

وفى شقة الجيران اخذ المدعوون يتوافدون وانغام الموسيقى تترامى ، هذا وصوت القرآن يتلى فى غرفة المرحومة . والآن أين هى الحقيقة وأين هو الحلم ؟ . أمك التى ما تزال نبرتها تتردد فى اذنك قد ماتت ، وأبوك الميت يبعث فى الحيـــاة . وانت المفلس المطارد بماض ملوث بالدعارة والجريمة تتطلع بمعجزة الى الكرامة والحرية والسلام .

## ٢

ليبق الأمر سرا ، واذا خاب مسعاه فليستعن بمعارفه . وليبدأ بالاسكندرية فهذا طبيعى جدا ، وان يكن من المستبعد ان يقيم بها شخص كأبيه ولا تدرى به أمه . واتخذ من دليل التليفون دليله . حرف السين ، سيد ، سيد سيد ، حتى استقرت عيناه على : سـيد سيد الرحيمى . آه لو يدلله الحظ ويعفيـه من متاعب لايدرى مداها أحد . سيد سيد الرحيمى صاحب مكتبة المنشية . أين هذا من جاه ابيه ؟ والمنشية كانت معبرا لأمه طيلة ربع قرن من الزمان ، ولكن لعله يجـد فى الاسم مفتاحا للغزه . ووجـد صاحب المكتبة فى الخمسين من عمره ، وذا سحنة لا تمت بسـبب الى صورة أبيه . واخبره انه يبحث عن سمىٍّ له واطلعـه على صورته مخفيا صورة أمه بكفه ، وقال الرجل :

— لا أعرف صاحب هذه الصورة .

ولما أوضح له انها صورة التقطت منذ ثلاثين عاما قال :

— ولا اذكر انى رأيته . .

— الا يمكن أن يكون قريبا من بعيد ؟

— نحن فى الأصـل من الاسكندرية ، وجميع أهلى يقيمون هنا عدا بعض اقارب فى الريف من ناحية الأم ، ولكن ما سبب بحثك عنه ؟

وارتبك لحظة ولكن سرعان ما أجاب :

ــ انه صديق قديم للمرحوم أبى ، أليس للرحيمى فروع فى بلاد أخر ؟

وتفحصه بنظرة لم تخل من ريبة وقال :

ــ الرحيمى هو جدى ، ولا ينتسب اليــه فى أسرتنا الا أنا واختى وليس لنا فروع من ناحيته خارج الاسكندرية .

ولا سبيل الى الصبر او الطمأنينة لمن لم يعد يملك سوى مائتين من الجنيهات . وهى تتناقص بمرور الساعات ولا أمل بعدها فى حياة كريمة . ومرضت عيناه من التفحص المركز للوجوه وأعياه القلق . ولجأ الى محام من معارفه يشاوره فقال له :

ــ لعل له رقم تليفون سرى . .

وتطوع لمعاونته فى الكشف عنه دون نتيجة ، ثم قال له :

ــ اسأل مشايخ الحارات . .

فقال صابر بانكار :

ــ انه وجيه بكل معنى الكلمة . .

ــ ان ثلاثين عاما خليقة بأن تفعل الأعاجيب ، بل فى نيتى أن اكلف صديقا من ضباط البوليس ليتحرى لك عنه فى السجون !

ــ السجون ؟ !

ــ لم لا ؟ ، السجن كالجامع مفتوح للجميع ، وأحيانا يدخله انسان لنبل فى اخلاقه لا لاعوجاج .

وضحك المحامى ضحكة مقتضبة ثم قال :

ــ ولكن لنبدأ بالشهر العقارى فلعله من الأعيان المتخفين .

ولم يكن فى كشف السجون اسمه ولا فى سجلات الملاك فلم يجد مفرا من اللجوء الى مشـــايخ الحارات . واستبعد الى حين اقتراحا للمحامى بالاعلان فى الصحف اذ أن ذلك يذيع مشـــكلته العجيبة على الملأ ويمكن أعداءه الكثيرين فى الاسكندرية من العبث به فأجل تنفيذ الفكرة الى ما بعد مغـــادرة المدينة . ودار على

مشـــايخ الحارات من العطـــارين الى كرموس ، ومن راس التين الى محرم بك . وكلما ذكر اسم ســـيد سيد الرحيمى سئل :

ــ ما عمله ؟ !

ــ لا ادرى عنه شيئا الا انه من الوجهاء وهذه صورته منذ ثلاثين عاما .

ــ ولم تبحث عنه ؟

ــ انه صديق قديم لأبى وقد كلفت بالبحث عنه .

وتحدق فيه الأعين باستغراب :

ــ وهل انت متأكد من انه حى ؟

ــ لست متأكدا من شىء .

ــ وكيف عرفت أنه فى الاسكندرية ؟

ــ مجرد أمل ليس الا .

ثم يجيئه الجواب النهائى كجدار السجن :

ــ غير معروف لدينا .

ولم ترتح عيناه لحظة واحدة من التهام الوجوه . ولم يشعر فى دوامة الاستطلاع بخطى الخريف حتى أيقظه مطر مباغت عند لسان الكورنيش الموغل فى البحر فانسحب مسرعا الى الميريار ، ورفع عينيه الى سماء أظلت جو الظهيرة بقطع من الليل . وسمع صوتا يقول مرحبا :

ــ تعال .

صافحها وجلس .

ــ لم أتمكن من تعزيتك ولكنى انتظرت أن تزور « الكنار » .

ــ ألست فى حداد ؟

ــ الكنار مكان مناسب للمحزونين ، والجميع يتساءلون أين أنت ؟ . .

وتوقف المطر فوقف من فوره معتذرا بمشاغل فقامت بدورها هامسة :

- خبرنى هل أنت فى ضائقة مالية ؟

آه هل بدءوا يتقولون ؟ ! . وقالت باغراء :

- مثلك لن يعز عليه المال اذا أراده !

فصافحها مرة أخرى ببرود ثم ذهب . مثلك لن يعز عليه المال . أجل فاذعن لنداء القوادة . ذلك ما يتمناه أعداؤك ولكن دونه الموت . وتساءل ماذا بقى فى الاسكندرية؟ .

وبسط راحتيه أمام قارىء الكف ولكنه لم يقل جديدا . وزار العارف بالله سيدى الشيخ زندى بعطفة الفراشة . تربع بين يديه فى حجرة تحتانية مغلقة الشيش دواما فهى تعيش فى مغيب متصل وتتلوى فى جوها سحائب البخور . وشم الشيخ منديله ثم أحنى راسه مستغرقا ثم قال :

- من جد وصل . .

وترامى اليـه هدير الموج من الأنفوشى فقـال بأمل « بداية حسنة » وقال الشيخ :

- وتعب كليالى الشتاء .

اليوم بسنة وكم أنه باهظ التكاليف .

- وستنال مطلوبك .

وفى جزع سأله :

- ما مطلوبى ؟

- انه ينتظرك بفارغ الصبر !

- هل يدرى بى ؟

- انه ينتظرك .

لعل أمه لم تقل له كل شىء .

- اذن هو حى .

- الحمد لله .

- وأين أجده فهذا ما يعنينى حقا ؟

- الصبر .

- لا يمكن الصبر الى ما لا نهاية .
- انت فى البدء .
- فى الاسكندرية ؟
اغمض الرجل جفنيه ثم تمتم :
- ابشرك بالصبر .
وقطب مغتاظا ثم قال :
- لم تقل شيئا .
فقال الشيخ محولا عنه راسه :
- قلت كل شىء .
وخرج الى جو عاصف تركض فيه السحب مثقلة بالظلمات . وقال : دجالون وعاهرات والنقود تبعثر بلا حساب . وعزم على بيع اثاث شقته تمهيدا للسفر الى القاهرة .
وكان قد باع التحف الرشيقة فى محنته ليواجه بثمنها نفقات معيشته الخيالية . وكره دعوة السماسرة الى شقته فقصد المعلمة نبوية صديقة امه الحميمة والشخصية الوحيدة التى لم يكرهها فى ذلك الوسط . وقالت وهى تقدم له خرطوم النارجيلة :
- سأشترى اثاثك على العين والراس ولكن لماذا تهجر بلدك ؟
- سأشق لى طريقا فى القاهرة بعيدا عن الخلق !
- الله يرحم امك ، احبتك ودللتك فسدت فى وجهك سبل الرزق !
وأدرك ما تعنيه فقال :
- لم اعد أصلح لهذه المهن !
- وماذا تفعل فى القاهرة ؟
- صديق هناك وعدنى خيرا .
قالت باسمة عن ثغر ذهبى :
- اعمالنا لا تشين الا المغرورين ، طاوعنى ! .
فبصق فى موقد كبير ينفث بخور الهند .



قالت باسمة : أعمالنا لا تشين الا المغرورين ، طاوعني ... !

وتعلق بصره بالاسكندرية والقطار يرج الأرض مبتعداً . رآها مدينة من الأطياف مغروسة فى حلم الخريف تحت مظلة هائلة من السحب ، وهواء بارد معبق بمطلع نوفمبر يجوب شوارعها الأنيقة شبه الخالية . وودعها هى وأمه وذكريات ربع قرن من الزمان بزفرة طويلة ساخنة . وكيف يكون الحال لو أن من تبحث عنه قد خلفته وأنت لا تدرى فى ركن من الاسكندرية لم يبلغه مسبعاك ؟ . ومن ضمن لك أن يكون حظك فى القاهرة خيرا منه فى الاسكندرية ؟ وكم فى البحر من أمواج وكم فى السماء من نجوم . وعجيب أن يكون بعيداً هذا البعد كله من تحمل روحه وجسده بين جنبيك . وما أبعدك عنه الا شهوة عمياء انتزعتك من أحضانه لتلدك فى ماخور . وكان يسألها عن أبيه فتجيبه « كان موظفا محترما ورجلا طيبا ولكنه مات فى ريعان الشباب » . وأهله أليس له أهل ؟ فتجيبه « لا أعرف له أهلا ! » . لذلك ظن طويلا انه ابن رجل من البلطجية وأنه ابن زنا . وأنت اليوم وحيد بلا أهل ولا أصدقاء كأنك من جنس غريب . وهاله الزحام فى محطة مصر فألح عليه شعوره بالوحدة .

ونازعته نفسه الى العودة فى أول قطار ولكنه أودع حقيبته الأمانات ثم خرج الى الميدان والشمس تميل ميلة العصر . ودار رأسه مع السيارات والبصات والعابرين . وترامى الميدان فى غاية من الاتساع وبلا شخصية ، وتقابل فوق أديمه متناقضات من أشعة حامية وهواء لطيف ، وشوارع مزدهرة وأخرى خربة . وقضى ساعة وهو يبحث عن فندق رخيص فى الميدان وما حوله حتى وجد نفسه فى شارع الفسقية ذى البواكى امام فندق « القاهرة » . وقف على الطوار المسقوف المقابل للفندق على كثب من شحاذ مستلق لصق الجدار يتغنى بمديح نبوى . وانعكس عليه من الشارع طابع عمل ودمامة وضجر لكثرة الدكاكين على الصفين وعربات النقل وأكوام البضائع ولكنه أمل أن يجده أرخص فندق

فى الناحية . وهو مبنى قديم ، ترابى الجدران ، مكون من اربعة ادوار وعلية فوق السطح ، وذو باب مرتفع مقوس الراس كوجه باك ، يفتح على مدخل مستطيل ينتهى الى السلم ويتوسطه مكتب جلس اليه رجل الى جانبه امراة . الرجل طاعن فى السن اما المراة . . رباه انها فتاة فى عز الشباب تشد عينيه بقوة ليست بلا سبب . انها توقظ مشاعر نائمة وتنبه ذكريات مدفونة فى الضباب . العطفة المبلطة الصاعدة من الانفوشي المشبعة بهواء البحر ورطوبته المالحة وانفعالات الجنون الملفعة بالظلام . وسرعان ما توثقت علاقات خفية بينه وبين الفندق كأنما جاءه على ميعاد . ووجد نفسه يعبر الطريق نحوه مدفوعا برغبة فى الاستطلاع والكشف وان يكن غير مصدق لظنونه تماما ، وصوت الشحاذ يتردد عاليا فى نبرة اعجبته :

طه زينة مديحى صاحب الوجه المليحى
النصارى واليهود
اسلموا على يديه

السمرة الرائقة النقية ، والعينان اللوزيتان الدعجاوان ، وبريقهما المضىء المفعم بالنبض والاقتحام . أين من هذا القطة المهزولة ذات الثوب الباهت الواحد واظافرها الجارحة ؟. انها تذكره بها بعنف تاركة له تخيل ما صنع الزمن فى عشر سنوات أو يزيد . والاسم القديم ضائع كأبيه ، ولكن رائحة البحر تملأ خياشيمه وها هو يرتجف لتذكر الليل البهيم ، ورغم ذلك كله فقد ظل أبعد ما يكون عن اليقين . وبنت العطفة ذكرى عابرة لا قيمة لها ولكنها تبعث الآن فى صورة فريدة ذات سطوة خطيرة الشأن كبعث أبيه من الموت الذى جاء به من البحر الى هذه المدينة المثيرة . استقبلت الفتاة القادم بنظرة قصيرة ولكنها متغلغلة ثم ادارت وجهها نحو استراحة الفندق الى يمينها . ووقف صابر



استقبلت الفتاة القادم بنظرة قصيرة ولكنها متغلغلة

أمام المكتب والعجوز عاكف على دفتر يطالعه من خلال عدسة مكبرة يمسك مقبضها المعدنى الصغير بيد مرتعشة .

ولم ينتبه العجوز الى القادم لشيخوخة حواسه فيما بدا فأدام الشاب النظر الى عارض الوجه الذى شغله ، مكتشفا آيات تؤكد ظنونه وآيات تبددها ، ثم تحول الوجه اليه بنظرة ناقدة لانتهازيته فربتت على ساعد الرجل لتنبهه ، وعند ذلك بادره صابر قائلا :

ـ مساء الخير يا والدى !.

رفع الرجل اليه وجهه ويده لا تكف عن الارتعاش . وهو وجه من الصعب التنبؤ عن صورته الأصلية اذ اختفى أديمه تحت قناع من الأخاديد والتجاعيد ، وبرز انفه مقوسا حادا مجدورا ، واحتارت فى عينيه الناضبتين نظرة باهتة ممصوصة كأنما لم تعد تعنى برؤية العالم . وقال صابر :

ـ انى اسأل عن سعر الحجرة ..

ـ ريال فى الليلة ..

ـ ولمن يقيم أكثر من أسبوعين ؟

ـ الريال عملة لا قيمة لها اليوم ..

ـ قد أقيم شهرا أو أكثر تبعا لمشيئة الله .

فأمسك الرجل عن الكلام اعراضا عن المساومة وهنا رأى صابر طربوشه الطويل الغامق لأول مرة ، وتمتم :

ـ كما تشاء .

وراح يملى عليه الاسم والمكان الذى جاء منه ولما سئل عن عمله أجاب :

ـ من الأعيان !

وقدم له بطاقته الشخصية . وجعل يسترق النظر الى الفتاة طوال انشغال العجوز بالبطاقة .

والتقت عيناهما مرة ولكنه لم يقرأ فيهما المعنى الذى يتلهف

عليه . وبسبب انفعاله وحده راح يقنع نفسه بأنها هى هى . . ولفحه هواء البحر فى الركن المظلم وهو نصف عار ، وملأت أنفه رائحة القرنفل المنبعثة من الشعر المبعثر . وتمل بشعور تفاؤل عجيب فقال انه علي نحو ذاك سيعثر على ابيه . والمؤكد بلا أدنى شك أن هذه الفتاة على استعداد . استعداد لشيء ما . انها تقف منه موقفا حياديا فى الظاهر ولكنها تخاطب ماضيه وأعماقه بألف لسان . ولا شك أن وراء هذه القشرة الناعمة الصامتة اللامبالية مدينة مسحورة . ولو كان الظرف غير الظرف لدعاها الى الرقص واحتواها بين ذراعيه وقال لها بكل جرأة كيف يرضى بالعيش تحت هذا القبو من ترطب جسده بهواء البحر فى عطفة القرشي . ورد العجوز اليه البطاقة قائلا :

ـ اذن فأنت من الاسكندرية ؟

فهز رأسه بالايجاب مبتسما فغمغم الرجل بكلمات مبهمة فقال بمكر راميا الفتاة بنظرة سريعة :

ـ أراهن على أنك تحب الاسكندرية !

وابتسم جانب فم العجوز وحده ، وعلى خلاف توقعه أضربت الفتاة عن متابعته فشعر بخيبة ، ثم خطر له أن يسأله :

ـ هل عرفت يوما سيد سيد الرحيمى ؟

فضيق الرجل عينيه ثم قال :

ـ غير مستبعد انني سمعت عنه . .

تركز صابر فى اهتمام أنساه كل شيء حتى الفتاة نفسها :

ـ متى وأين ؟

ـ لا أذكر ، لست متأكدا . .

ـ لكنه من كبار الوجهاء . .

ـ عرفت كثيرين منهم ولكنى لم أعد أذكر أحدا . .

ومع انه آثر ألا يزيد الا انه تمادى فى التفاؤل وقال انه غير بعيد أن يهتدى الى مكان أبيه اليوم أو غدا . والتقط فى اللحظة

المناسبة نظرة من عينى الفتاة قبل ان تستردها . قرأ فيها شكا وما يشبه السخرية وكأنها تتساءل عما دعا هـذا الوجيه الى النزول بفندقها المتواضع . ولم يضايقه ذلك وقال ان الحقيقة ستنجلى عندما تعرف مهمته وسوف تعرف عاجلا أو آجلا . ترى هل تذكرته ؟. وشعر بغرز الأظافر فى ساعده عقب المطاردة البارعة التى بدأت من ساحل الصيادين بالأنفوشي واستقرت فى الركن المظلم بعطفة القرشي ، ولفح هواء البحر بدعابته القاسية نصفه العـارى . ولكن أين كان أبوها فى ذلك الوقت ؟ ، ومتى انتقل بها الى ادارة هذا الفندق ؟!. ونادت المرأة قائلة :

ــ عم محمد يا ساوى .

فجاء عجوز من مجلسه عند الباب ، عميق السمرة مائل للقصر دقيق الجسم تتكون ملابسه من طاقية بيضاء وجلباب رمادى مقلم ومركوب ، فأشارت المرأة الى صابر قائلة :

ــ حجرة رقم ١٣

ابتسم صـابر لدى سماعه الرقم ، ثم استأذن فى الذهاب لاحضار حقيبته . ولما عاد تبع عم محمد الساوى الى الحجرة فى الدور الثالث . وغادرها الرجل ثم دخل خادم يحمل الحقيبة . خادم بين الشباب والكهولة ، سريع الحركة بدرجة لا تتناسب مع العمل الذى يؤديه ، ضيق العينين جدا مستديرهما ، صغير الراس ، يوحى منظره بالسذاجة . وسأله صابر عن اسمه فأجاب :

ــ على سريقوس .

وآنس فى نبرته متنانا بدرجة أشعرته بالقدرة على امتلاكه وقتما يشاء . وسأله :

ــ هل العجوز الجالس الى المكتب هو صاحب الفندق ؟

ــ نعم . عم خليل أبو النجا . .

وهم بسؤاله عن الفتاة ولكنه كبح رغبته عن حكمة الى حين ، وحذر نفسه قائلا : ان السذاجة سلاح ذو حدين !. ولما خلا له

المكان شمله بنظرة سريعة فتركت فى نفسه انطباعا بالقدم .
السقف العالى والسرير ذو الأعمدة والكنصول ، وقال ان أباه كان
يعجب بهذا المنظر حينما أحب أمه . ودلف من نافذة عالية واطل
على ميدان صغير فى الطرف الشمالى من الشارع ، تتوسطه
فسقية تمج نافورتها رذاذا على غلمان مهللين . واضاء المصباح
ثم جلس على كنبة تركية قديمة . وراودته أخيلة جنسية ،
وتخللتها احلام بالعثور على أبيه . أما نداء العينين اللوزيتين
المضيئتين فعجيب كل العجب . ولعلها الآن تفكر فى أمره وتتساءل .
ولكن ليس ثمة ما يقطع بأنها هى هى . فى زحمة المولد نهرته قائلة
لا تقترب مني هكذا ، فقال متظاهرا بالكبرياء لم تقلها بنت قبلك
فأجابت بكبرياء أشد ولكنى أقولها وأعيدها . وذهبت فى صحبة
امرأة شرسة والهواء يلعب بضفيرتها فأين كان عم خليل ؟ ! .
وعيناك اليوم التقت بعينيها أكثر من مرة وتجلت معان ، ولكن لم
يلتمع بينها ما يوحى بذكريات مشتركة . لم تقل عيناها انها تذكر
المجلس فوق سور الكورنيش عند قوارب الصيد المقلوبة .
والأحاديث المفتعلة للتستر على الرغبات الجامحة . وقبلة خطفت
أعقبتها معركة غير حامية . وعندما أعيتك الحيل صحت سأقتلع
يوما أظافرك . أما يوم المطاردة الرائعة وصراع الركن المظلم وشذا
القرنفل والهواء المشبع برائحة البحر فكانت نصرا صريحا ، ثم
تلاه اختفاء وصمت ، لا هى ولا الأم الشرسة ، وأسف دام طويلا ،
حتى انتقلت أمك من حال الى حال واستقر بك المقام فى الشقة
الأنيقة بالنبى دنيال . من أدراك أن لهذا الفندق علاقة بعطفة
القرشي ؟! . وأن هذه الفتاة المثيرة هى تلك البنت القرنفلية ؟! .
على أى حال فهذه الفتاة تثير عاصفة فى دمك . وفى سواد مقلتيها
ترى الليالى المعربدة بأنغامها الجنونية . وما أحوجك الى دفء
الشهوة المعذّبة فى فترات الراحة من البحث . وقيمة ذلك

تتضاعف للوحيد الذى لا اهـل ولا صاحب له . وعندما تجىء المعجزة ستقول له :

ـ انا صابر ، صابر سيد سيد الرحيمى ، هاك شهادة الميلاد ، وهاك شهادة الزواج ، وانظر جيدا فى هذه الصورة . .

عند ذاك سيفتح لك ذراعيـــه وتنجاب عنك الوساوس الى الأبد . وصرت امرأة أنيقة بكل معنى الكلمة . أين البنت المغطاة بملح البحر ؟. أين رائحة غفلة العذراء ؟!

## ٣

استيقظ مبكرا بعد ليلة لم ينم فيها سوى ثلاث ساعات . ووجد رغم ذلك نشاطا لم يحلم به من قبل . وفتح النافذة فلم ير المنظر الذى فى غفلة توقعه ، منظر عمارات النبى دنيال وسعد زغلول وزرقة البحر على مرمى البصر وهواء الاسكندرية العامر بالفتن . رأى سماء ملفعة بالسحب السمراء ، وفى الأفق الشرقى نضح الستار ببياض ناصع ، وعلى الأرض الخالية سعى فوج من العمال والبـــاعة . وفى لمحة واحـــدة تجلت لمخيلته صـــورة أبيه والوجه الدافىء المفعم بالاثارة . وجاءه على سريقوس بالفطور الى حجرته فأكل بشهوة عظيمة ، ولما رجع الخادم ليحمل الصينية الفارغة سأله :

ـ من الفتاة التى كانت تجلس الى جانب عم خليل أمس ؟

ـ زوجته !

ليعترف بأن هذا لم يجر له فى بال ، وكم بدا له مزعجا :

ـ من الاسكندرية ؟

ـ لا أدرى . .

ـ متى امتلك عم خليل هذا الفندق ؟

ـ لا أدرى ، انى أعمل هنا منذ خمس سنوات فقط .

ـ وهل كان وقتذاك متزوجا ؟

ـ نعم ..

هى بنت عطفة القرشى . اشتراها العجوز هناك من المرأة الشرسة . وصنع منها امراة حسناء طاغية ، ولكن عليه هو ان يتفرغ لمهمته قبل أن ينفد آخر ما يملك من نقود . ووجد عم خليل ابو النجا بمجلسه وراء المكتب وهو يحادث عم محمد الساوى الجالس الى يمينه . ولمح فى طريقه اليهما نفرا من النزلاء يجلسون فى الاستراحة ما بين متناول لفطوره وقارىء لجريدة . جاء بكرسى امام المكتب ثم جلس رافعا يده بالتحية وهو يقول :

ـ عن اذنك دليل التليفون .

وفر الصفحات حتى عثر على حرف السين . سيد . سيد . سيد . وسيد سيد الرحيمى ! . وخفق قلبه بقوة . هذا هو فى مدينته . ليس كصاحب مكتبة المنشية . والمهنة ؟. طبيب بميدان الأزهار واستاذ بكلية الطب . كما يحدث للوجهاء وابناء الوجهاء . واستخفه فرح فتمتم :

ـ الظاهر أن ربنا سيرضى عنى ..

فنظر عم خليل بعينيه المذكرتين بالآخرة فقال :

ـ الظاهر أنى سأنجح فى المهمة التى جئت من اجلها من الاسكندرية .

فغمغم العجوز :

ـ جميل أن ينجح الانسان .

كما نجحت فى شراء الفاتنة !. ورآه ما زال ينظر اليه مستطلعا فقال :

ـ انى أبحث عن رجل هو كل شىء فى حياتى .

فدعا له عم محمد الساوى قائلا :

ـ ربنا يحقق مقاصدك .

وقال عم خليل ابو النجا :

ـ لا يجيء احد الى هذا الفندق للاقامة ولكن لمهمة تستغرق ليلة او اسبوعا او شهرا ثم يمضى الى حال سبيله .

ـ هذا طبيعى جدا .

ـ ولذلك فهم يتجاورون فى الغرف والموائد والاستراحة ويندر ان يعرف احد منهم الآخر .

ـ يخيل الى أن عملك مسل جدا ؟

ـ لا شيء مسل على الاطلاق !

ومغالطة الزمن اليست مسلية ؟!. وسمع وقع حذاء نسائى فأجل قيامه الذى هم به . وجاءت الزوجة مدملجة الجسم فى جونلا سوداء وبلوزة حمراء مطوقة الراس والخدين باشارب أبيض منمنم . ووشى خطرانها باكتناز سوى هو الوسط المثالى بين النحافة والبدانة ، فسرعان ما ثمل أنفه بعبير أنثوى مسكى عصف بعقله وقلبه . وهى وان لم تبتسم الا أن عينيها عكستا نظرة راضية موحية كأرض خصبة لم تزرع بعد . ونهض عم محمد الساوى وهو يحبك معطفا رماديا قديما ، أما عم خليل فقد رفع اليها وجهه متمتما :

ـ نويت بالسلامة ؟

فقالت بصوت حلقى دسم :

ـ فتك بعافية .

ومضت الى الخارج يتبعها عم محمد الساوى . انت سر من الأسرار يا عم خليل . ووجهك يصلح رمزا للموت كعلم القرصان . ولم يرتكب أناس الأخطاء بلا تبصر ؟ . وقام متظاهرا بالهدوء فحيا الرجل وغادر الفندق . وسبقته عيناه الى كافة أنحاء الطريق حتى رأى المراة والعجوز يميلان مع ميدان الفسقية فأسرع فى مشيه حتى لحق بهما . والتفت عم محمد نحوه فابتسم كالمعتذر وقال :

— لا تؤاخذنى يا عم محمد ، أود ان اعرف الطريق الى ميدان الأزهار . ؟

والتفتت نحوه المرأة فى شىء من الدهشة . ووقف عم محمد ليصف له طريق الوصول فاضطرت المرأة الى الانتظار . وتظاهر بالانصات الى كلام عم محمد دون أن يعى منه كلمة . وكلما وجد فرصة آمنة حدج المرأة بنظرة فتتلقاها بالرضى الهادىء المثير للطموح بلا دليل . ود أن يسألها عن القرنفل وملح البحر والظلام العارى ولكن الساوى انتهى من شرحه فشكره ثم ذهب . ترى اين هى ذاهبة مع كلب الحراسة ؟. والم تكن جراته سابقة للأوان ؟ . انه دائما جرىء غير ان الجرأة هذه المرة قد تفسد عليه البحث أو تعرقله . وبلغ ميدان الأزهار مستعينا بالمارة ولم يجد فى العيادة سوى التمرجى . واخبره الرجل أن الطبيب يحضر عادة حوالى الثانية عشرة فجلس لينتظر . هل ترددت انفاس أبيه فى هذه الشقة ؟. هاهو القلق يساوره والجزع . والأمل واليأس . وكلما تقدمت الساعة قل صبره . وان وجد اباه حقا فكيف يكون موقفه منه ؟ . كيف يتصرف ان انكره أو طرده ؟ . ولكنه سيستميت فى الدفاع عن حقوقه . ولذلك تبدى فى احسن مظهر ، ولم يخف عليه أن التمرجى رمقه باحترام واعجاب ! . ولكنه تذكر انه لعجلته واضطرابه لم يعرف اختصاص الدكتور ! . وخرج من حجرة الانتظار الى الصالة فجلس فى قبالة التمرجى وسأله :

— من فضلك ما اختصاص الدكتور ؟

— القلب !.. حضرتك طبعا ..

— أردت أن أتأكد ، أصلى من الاسكندرية !

وشعر بسخافة أسئلته ولكنه لم يبال ، بل عاد يسأله :

— هل عندك فكرة عن عمره ؟

فأجاب الرجل مندهشا :

ــ لا ادرى عن ذلك شيئا !

ــ ولكنك تفرق ولا شك بين الشباب والكهولة ؟

ــ انه أستاذ بالكلية !

ــ وهل هو متزوج ؟

أعلن التمرجى عن مدى استغرابه بضحكة ثم قال :

ــ متزوج وأب ، وله ابن طالب بالكلية . .

عقبة وأى عقبة تعترض أمله فى القبول . وسيكون للأسرة رأى فى العضو الجديد القادم من ماخور ولا مؤهل له غير جماله المبذول للفجــور . ولكنْ اصراره بلغ المنتهى . وجاء المرضى تباعا حتى امتلأت الحجرات . ثم دعاه التمرجى الى حجرة الكشف . ونفخ سحب القلق والوساوس ودخل . راى وجها لا يمكن أن يرجع بحال الى أصل الصورة التى يحملها ولكن من يتصور أن أمه ــ فى آخر ليلة لها ــ يمكن أن ترجع اليها ؟ . وجلس أمام مكتب الدكتور وراح يجيب على أسئلته التى شرع فى تدوينها فى دفتر كبير :

ــ اسمى صابر سيد سيد الرحيمى .

ضحك الدكتور قائلا :

ــ عال ، أنت اذن ابنى ، وما عمرك ؟

ــ الواقع اننى لا اشكو مرضا على الاطلاق !

فحدجه بنظرة متسائلة فقال :

ــ انى ابحث عن سيد سيد الرحيمى . .

ــ عنى أنا ؟

ــ لا أدرى ولكن تفضل بالنظر فى هذه الصورة !

تفحصها الدكتور ثم هز راسه بالنفى .

ــ ليست صورة حضرتك ؟

ضحك قائلا :

ــ بالتأكيد لا ، ومن هذه الفتاة الجميلة ؟

— اليس بأحد من اقربائك ؟ ، لاحظ أن تاريخها يرجع الى ثلاثين عاما مضت . .

— ولا هى لأحد أقربائى .

— حضرتك من أسرة الرحيمى ؟

— والدى سيد الرحيمى ، كان موظفا بالبريد .

— اليس للأسرة فروع لم تعرفها ؟

— أسرتى محدودة أصلا وفرعا !

قام يائسا وهو يقول :

— آسف على ازعاجك ، ولكنك ربما سمعت عن احد الوجهاء بهذ الاسم . . ؟

— لا اعرف وجيها بهذا الاسم ، ولكن ما الحكاية بالضبط ؟

— الحكاية انى ابحث عن وجيه يدعى سيد سيد الرحيمى ، صاحب هذه الصورة منذ ثلاثين عاما .

— لعله هنا أو هناك وأنا على أى حال لست مرجعا فى هـذه الشئون .

وقضت نبراته بانهاء الحديث فحياه وانصرف . دخل أول قهوة صادفته فجلس الى البار ثم طلب براندى . ها هو يبدأ من جديد . وما اغراء دليل التليفون الا خدعة سخيفة . وتبدد التفاؤل الوهمى الذى اجتاحه منذ راى زوجة عم خليل . وتذكر سلسلة الأبحاث التى قام بها فى الاسكندرية من الشهر العقارى ومشايخ الحارات وأولياء الله ولكنه يحتاج لاعادة ذلك الى مرشد ولا احد له فى القاهرة . لذلك استحسن أن يبدأ بالاعلان ولعله ارخصها وأسهلها وأجداها . ونظر الى الساقى العجوز وسأله :

— ألم تسمع عن سيد سيد الرحيمى ؟

— دكتور فى العمارة التالية .

— كلا ، أعنى الوجيه سيد سيد الرحيمى ؟

ردد الخواجا الاسم كأنه يلوكه فى ذاكرته ثم قال :

ـ لا اذكر زبونا بهذا الاسم .

ـ الم يحدث لك أن بحثت عن شخص وانت تجهل مقامه ؟

إجاب وهو يمد بصره الى لا شيء :

ـ ابن مفقود من إيام الحرب !

هز صابر معلنا عن أسفه ثم قال :

ـ لكن الحرب انتهت وعرف مصير كل من اشترك فيها .

ـ ان اعتبره مفقودا خير من التسليم بموته !

وسأل الخواجا عن موقع جريدة أبو الهول فوصفه له بميدان التحرير . ذكّره مبناها الأبيض المربع ، والفناء الذى تتوسطه فسقية بفيللا ثرى يونانى بالأزاريطة . ومضى نحو الباب الداخلى فرأى فتاة واقفـــة على عتبته وما لبثت ان اشـــارت اليه . دهش صابر واحدّ اليها بصره ولكن ساعيا مرق من جانبه متجها نحوها فأدرك أن الاشارة لم تكن له . وسلمها الساعى شيئا ثم اختفى وراء الباب ، ووجد صابر نفسه أمامها . رشيقة نحيلة ، لفت انتباهه فى وجهها تناقض محبوب جمع بين سمرة البشرة وزرقة العينين ، وتكوين الرأس والوجه غاية فى الأناقة والبداعة ، انبعث اليه منه شعور بالجذب والطمأنينة ، ثم استعاد نشـــوة نبيذ بتاقرنا وهو يسمع عزف كمان . وحياها باسما ثم سألها عن قسم الاعلانات فقالت بصوت رقيق موحى بالثقة بالنفس :

ـ أنا ذاهبة اليه .

ولحظها منقبا عن مواضع للاثارة ولكن طرفه رد ممتلئا بالاعجاب وحده . ودخلا الادارة فأشارت الى رجل فى الصدر حملت لافتة مكتبه اسم « احسان الطنطاوى » فحيـــاه ، ثم دعاه الرجل الى الجلوس على كرسى يقع بين مكتبه ومكتب الفتاة التى جاءت به . وأبان صابر عن مقصده قائلا انه يرغب فى الاهتداء الى شخص يدعى سيد سيد الرحيمى ، فتساءل الرجل :

ـ دكتور القلب ؟

فأجاب بالنفى ، وتوقع أن يسمع منه مزيدا عن الشخصيات التى تحمل هذا الاسم ولكنه لم يفعل ، فقال :

ـ فى الحق اننى لا اعرف سوى اسمه . .

ـ أليس لديك فكرة عن عمله أو مكانه ؟

ـ كلا البتة ، كل ما أعلمه عنه أنه من الوجهاء ، ومحتمل أن تكون له مهنة تناسبه ولكنى لم أجد فى الدليل الا الدكتور .

ـ قد يكون رقمه سريا ، وقد يكون من أعيان الريف ، وعلى اى حال فالاعلان أوجز سبيل اليه .

ـ ليكن اعلانا صغيرا بقدر الامكان ، ويوميا لمدة أسبوع ، فى شكل دعوة للاتصال بى بفندق القاهرة سواء بالمراسلة أو بالتليفون .

ـ لابد من ذكر اسمك فى الاعلان .

وفكر بسرعة وقلق ثم تمتم :

ـ صابر سيد .

ولم تتحقق مخاوفه فراح الرجل يخطط صورة للاعلان فلاحظ صابر أن الفتاة تتابع حديثه فلم يشك فى أن غرابة الاعلان هى التى أغرتها بذلك . ورأى ثمة مكاتب أخر يجلس اليها موظفون وموظفات ، وعرف اسم الفتاة « الهام » وهى تخاطب به ، وسمع احسان الطنطاوى يسأله :

ـ الا تشير الى الغرض من اعلانك ؟

ـ كلا . .

ثم بعد هنيهة صمت :

ـ المؤسف اننى ظننت أن الذين يعرفونه فى القاهرة لا حصر لهم ولكنى لم أجد حتى الآن أحدا يعرفه .

ـ موضوعك غريب ، الاسم وحده ! ، وكيف تتأكد من هوية من يتقدم اليك مدعيا انه سيد سيد الرحيمى . . ؟

ـ لدى ما أستدل به على ذلك !

وقالت الهام وقد غلبها حب الاستطلاع :

ـ فى المسألة سر عجيب ، كأسرار السينما !

فقال صابر باسما وهو يرحب فى أعماقه بتدخلها فى الحديث :

ـ أود أن يكشف بالسهولة التى تكشف بها أسرار السينما !

ـ على الأقل أنت تعلم انه وجيه من الوجهاء فكيف عرفت ذلك ؟

سكت صابر مليا فقال احسان الطنطاوى بلهجة جدية :

ـ هذا سؤال على مستوى التحقيق !

آه ، هذه الطفلة الكبيرة ، لعلها على استعداد للميل اليه ، وهى طاقة من عبير لطيف يدعـــو الى اســـتباحة الأسرار ، ليست كالنار التى صهرته بالفندق ، وقال :

ـ يا آنسة الهام انا رجل غريب فى بلدكم ..

ـ غريب ؟!

ـ أجل أنا فى الأصل من الاسكندرية وجئت القاهرة امس ، فأنا غريب فى بلدكم ويهمنى جدا العثور على ذلك الرجل ، وانى استبشر خيرا بوجهك !

ابتسمت بشجاعة الفتاة العاملة . ومرة أخرى تذكر نشوة النبيذ بتاقرنا على انغام الكمان .

# ٤

غادر الجريدة وموظفو الادارة يتأهبون للانصراف . خطر له أن ينتظر قليلا ليلقى نظرة أخيرة على الهام فوقف ضمن الواقفين تحت مظلة محطة للبص . اشعاعها اللطيف لم يزل ناشبا فى خياله وقد تخفف من عبء البحث الى حين بوضع ثقته الكاملة فى الاعلان. وجرى هواء مائل للبرودة فى جو أبيض امتص لونه من سحاب ناصع البياض فأضفى على الدنيا حلما رائقا . ورأى الهام وسط مجموعة من الشبان والشابات وقفوا امام الجريدة متبادلين كلمات سريعة وابتسامات قبل الافتراق ، ثم عبرت الفتاة شارعا جانبيا للجريدة الى محل صغير يدعى ڤتركوان واختفت داخله . تبعها بلا تردد ، ثم نظر الى الداخل من خلال حاجز زجاجى فرآها جالسة الى مائدة منفردة ، وتبين حقيقة المحل وهو مطعم للشطائر ومشرب للعصير والقهوة . دخل كأنما يقصد البوفيه ثم لمحها — مصادفة — فتهلل وجهه ومضى الى مائدتهـــا فى اقصى المحل والنادل يضع أمامها طبقا بالشطائر وكوبا من عصير البرتقال :

— مصادفة جميلة جدا ، هل تسمحين لى بمشاطرتك المائدة ؟

قالت دون حماس ودون فتور :

— تفضل ..

وطلب غداء كغدائها ، وزاد انتعاشا باشعاعاتها التى ترفعه الى مستوى غير مألوف فى علاقاته مع الناس . وشعر ببهجة غريبة :

— لا شك انى أبدو ثقيلا ولكن هكذا يبدو الغريب !

— انى أرحب بالغرباء .

— شكرا ، أقصد أن لهفة الغريب على التعرف بالناس تنفرهم منــه ؟

ـ ليس فى مشاركة عابرة كهذه ما ينفر اطلاقا .

وشكرها ثم تناول أولى شطائره .

ـ لعلك ذاهبة الى السينما ؟

ـ كلا ، ولكننا نستأنف العمل فى الجريدة بعد ساعتين أو اكثر قليلا ، ولما كان بيتى فى أقصى الجيزة والمواصلات كما تعلم فاننى افضل كثيرا أن أتناول طعامى هنا . .

ـ وهل تبقين هنا طول الوقت ؟

ـ بعض الوقت وأتمشى على النيل البعض الآخر .

وراحا يتناولان طعامهما . واسترق ـ كلما وجد فرصة ـ النظر الى فيها وهو يمضغ الطعام ، والى اصابع يديهسا ، متمليا ما امكن زرقة العينين فى البشرة السمراء .

ـ ماذا ترين فى الاعلان ، هل يحقق المقصود منه ؟

ـ هو كذلك دائما .

قصد أن يوقظ حب استطلاعها ولكنهسا لم تتماد فى الكلام فقال :

ـ كم تهمنى النتيجة !

ـ الا تعرف شيئا حقا عن الرجل الذى تبحث عنه ؟

ـ عندى صورة وبعض معلومات طفيفة . .

ثم بعد لحظة تفكير :

ـ انى موفد للبحث عنه من قبل والدى العجوز الذى كان يعرفه فى الزمن القديم . .

وقرأ فى عينيها الصافيتين تساؤلا فقال باسما :

ـ معاملات قديمة .

ـ مالية ؟

ـ لا تخلو من هذا الجانب الهام !

ان تحقق أحلام لم تخطر بالبال هو ما يطمعك فى المستحيل . وهذه الفتاة من معدن يخلق النشوات .

ــ لم اشعر من قبل بمثل هذا الشعور !

فرفعت حاجبين مقوسين متباعدين فى تساؤل انكارى فقال مفسرا :

ــ الغربة والأمل وصحبتك اللطيفة !

ــ فيما يتعلق بصحبتى أرجو الا تكرر أقوالا أسمعها كثيرا ولم أجد لها معنى .

ــ تسمعينها فى الادارة ؟

ــ مثلاً .

ــ هل أنت سعيدة فى العمل ؟

ــ هه !

ــ هل تتركينه للبيت فى حينه ؟

ــ انى أعتبره عملا لا محطة .

وفكرته الثابتة عن الجنس الآخر لا يمكن أن تتغير . هو فى نظره سلسلة من المخلوقات الوحشية الفاتنة الباحثة عن الغرام بلا مبدأ . أمه وقريناتها وفتيات الكنار الليلى وعطفة القرشى . وحتى نشوته الصاعدة الى فوق لم تستطع أن تزعزع هذه الفكرة الثابتة ، ومع ذلك لم يشأ أن يجردها ــ فى خياله ــ من ثيابها وهى عادة مزمنة لم تفارقه . تجريدها من الثياب غير مجد لأن سحرها لا يستقر بموضع بالذات ، شائع كضوء القمر . وبه جانب مجهول تتعلق به الآمال كمستقر أبيه . ولن يتحقق سروره بها كسروره بالأخريات أى بالبهلوانيات والألفاظ الجارحة والأفعال الشائنة والعبث الهمجى الوقح . هى شىء فريد . وفى ساعات قلائل كشفت له عن طبيعة ثانية فيه وعن ذوق لم يذق به الأشياء من قبل .

ــ ومع ذلك فانظرى الى عنايتك بأظافرك !

لاح فى وجهها الاحتجاج فى صورة طابع جدى وقالت :

ــ عنايتك بشعرك ليست دون ذلك !

ــ اعتبرى ملاحظتى طريقة غير مباشرة للاعجاب .

ثم مستدركا بنبرة اعتذار وهو ينظر الى اللوز الوردى المغروس فى البنان .

ــ عندما اعود الى الاسكندرية سأحمل منك أجمل ذكريات القاهرة ! .

ــ لم لم تعلن فى فرع الجريدة بالاسكندرية ؟

ــ الاعلان جزء من البحث ليس الا . .

وهمَّ بأن يدفع ثمن الغداء لها ولكنها ابت ذلك باصرار فعدل عنه قائلا :

ــ لو اردت أن تفعلى نفس الشىء لما رفضت .

فقالت ضاحكة :

ــ ولا هذه ! .

وفى مرآة مثبتة فى الجدار الأيسر ضبطها وهى تتفحصه باهتمام فارتاح لذلك جدا . ليكن تأثيره فيها كتأثيره فى الأخريات! . وتذكر الأسرار التى كشفها فى ماضيه القصير فابتسم . النوافذ والغابات والروائح الفطرية الفاتنة . وقامت لتذهب فصافحها مودعا ولكنه لم يتبعها رغم رغبته الشديدة فى ذلك . وأدرك أنه من المحتمل جدا أن يطلع نزلاء الفندق وصاحبه على الاعلان ، وأن علاقته بمن يبحث عنه لن تخفى على أحد . ولما أخبر خليل أبو النجا ومحمد الساوى عن المكالمة التليفونية المنتظرة قال العجوز :

ــ اذن انت تبحث عن أبيك ؟ !

فتورد وجهه وأحنى رأسه بالايجاب .

ــ وكيف فقدته ؟

ــ فقدته كما فقدنى وها أنا قد قدمت للبحث عنه .

- لا شك أنها قصة عجيبة !

وتضايق من الأسئلة المطوقة فقال :

- بل عادية جدا فأرجو استدعائى عند الطلب .

الشاب الذى يبحث عن أبيه ، هكذا سيطلقون عليه . وسيقولون ويتقولون . وهز كتفيه استهانة . ولزم الاستراحة أكثر الوقت وكلما رن التليفون تعلق به بصره . ووقعت مكالمات غير مجدية فاتصل به سيد سيد الرحيمى الحلاق ببولاق وثان مدرس لغة عربية وثالث سائق ترام ، وقابلهم واحدا فواحدا ، كما قابل الدكتور من قبل ولكن لم يكن لأحد منهم علاقة بمن يبحث عنه . أين من يبحث عنه أذن ؟ . ولم لم يتصل به كما فعل الآخرون ؟ . واذا كان قد مات أفلم يترك ابنا أو قريبا ؟ . وتذكر نقوده التى تتناقص باستمرار بجزع شديد . ومن حوله جلس كثير من النزلاء وتطايرت رائحة القهوة والسجائر ولكن احد لم يلق اليه بالا وكان الاعلان لم يقرأه أحد وهو ما حمد الله عليه . ولكن ما عسى أن يصنع اذا تتابعت الأيام بلا نتيجة ؟. ماذا لو نفد المال ولم يظهر الأب ؟ . أنت قواد أو بلطجى ؟ . وعهد النبى دنيال الذى مضى كعبير طيب بددته الريح . عرف حب الأم واغداقها المال بلا حساب وعرف مسرات الحياة بلا خوف أو ندم . وقالت الحياة جميلة وأنت زهرتها . وحتى عند الوعى بحقيقة الأمر خضعت لها باعتبارها مصدر كل شىء . وأنت ترقص فى ملهى الكنار الليلى صاح مخمور أكل الغيظ قلبه :

- يا بن بسيمة ! .

فكانت معركة دامية وتناثر الزجاج ، ولا شىء يحمى السمعة السيئة الا القبضة الحديدية . وما دامت بسيمة قد دفنت فلا أمل الا اذا جاء الأب . وقال أحد القاعدين فى الاستراحة :

- القطن ! ، كل شىء يتوقف على القطن !

لم ؟. أهو رحيمى آخر ؟. وهو لولا الاعلان ما تصفح جريدة.

حتى انباء الذرة وغزو الفضاء جاءته عن طريق السكارى بملهى الكنار . وتساءل رجل آخر :

ـ وهذه الحرب التي تهدد العالم الا تضمن لنا القطن ؟

ـ لن تكون كالحروب الماضية . .

ـ أجل انها لن تبقى على شيء . .

ـ القطن والفول والبهائم والخلق !

فتساءل الصوت الأول :

ـ وأين الله خالق كل شيء وحافظه ؟

اين الله حقا ؟. هو عرف اسم الله ولكنه لم يشغل باله قط . ولم تشده الى الدين علاقة تذكر . ولا شهد النبي دنيال ممارسة عادة دينية واحدة فهو يعيش في عصر ما قبل الدين . وقضى عليه بأن يمضي أجمل أوقات النهار بين ثرثارين أغلبهم من الريف . ورائحة السجائر تختلط دائما برائحة البصل الأخضر . واذا اشتدت مرارة الصبر تسلى بتخيل الهام أو زوجة عم خليل أبو النجا . والهواء ضروري جدا والنار لا غنى عنها . وسوف يصمت الى الأبد دون أن ينبس لسانه بجواب يخرجه من حيرته . واذا لم يلب أبوه النداء أفليس من الخير أن تنفجر الذرة لتهلك كل شيء ؟ . الخوف والجوع والماضي الملوث ؟ . ومرة حانت منه التفاتة الى التليفون فرأى زوجة عم خليل بمجلسها الذي رآها به اول مرة . اذن عادت !. ودق قلبه باعثا حرارة جنونية في كافة المراكز المتلهفة . الجسم الصارخ والنظرة المتآمرة مع الغرائز . ونسي التليفون والرحيمي والهام . وصعد الى حجرته في الدور الثالث وانتظر وراء الباب . ثم سمع وقع أقدام صاعدة فخرج الى الطرقة فالتقيا في منتصفها . وتظاهر بالمفاجأة وقال :

ـ حمدا لله على سلامتك !

فشكرته بابتسامة فقال :

ـ تركت خلفك وحشة حقيقية !

فجادت بهزة شكر من شعرها الأسود وسارت فى طريقها المفضى الى سلم الدور الرابع غير انه همس بجراة :

ــ الاسكندرية ! .

تباطأت حتى وقفت تقريبا على بعد ياردة منه متسائلة :

ــ الاسكندرية ؟

ــ عطفة القرشى !

قالت مقطبة :

ــ لا أفهم شيئا !

فقال باصرار :

ــ ان كنت نسيت فانا لا يمكن أن أنسى .

ــ انت مجنون ؟

قالتها بثبات زعزع ثقته فتساءل :

ــ أليست . .

ولكنها قاطعته وهى تمضى فى سبيلها :

ــ لعبة قديمة وسخيفة .

واستدرك قائلا قبل أن توغل فى الابتعاد :

ــ على أى حال تقبلى اعجابى . .

واعتمد على الدرابزين حتى يتمالك انفاسه . حتى تبرد بعض الشىء النار الحامية . وتملكته لحظة جنون فتمنى لو يهلك جميع من فى الفندق ليخلو لهما وحدهما . كما عصف به الجنون ليلة المطاردة التى اندفعت من ساحل الصيادين بالأنفوشى . واذا بعلى سريقوس يهبط السلم وهو يدندن بموال صعيدى فجره الى موقفه باشارة وقال بمكر :

ــ سمعت صوتا يناديك لعله صوت الست !

ــ الست ؟ .

ــ حرم عم خليل ؟ .



تباطأت حتى وقفت تقريباً على بعد
باردة منه متسائلة : الاسكندرية ؟؟

ـ كلا ، لعلها الحجرة ١٦ ، أنا قادم من عند الست وهى تدخل شقتها .

ـ ربما ، وستتأكد بنفسك ، ولكن هل تقيم الست فى شَقة ؟

ـ شقة عم خليل فوق السطح .

ـ وأين كانت طوال الأيام الماضية ؟ .

ـ عند أمها ، انها تزورها أياما كل شهر .

ورمق ظهر عم خليل ـ وهو نازل ـ باحتقار ومقت ، وكره فكرة العودة الى مجلسه بالاستراحة فغادر الفندق . تمتع بشمس ترسل اشعتها من سماء صافية ، فى جو يتيه ببرودة لطيفة محببة ورغب فى المشى بنهم فمشى بلا هدف وهو يأسف على انه لا يجد فراغ البال لمشاهدة القاهرة . وتذكر أن مدة الاعلان ستنتهى بعد يوم فمضى الى جريدة أبو الهول ، والحق أنه كان يرصد ميعاد الذهاب الى الجريدة ليرى الهام من جديد . وجد احسان الطنطاوى مشغولا بزبون فصافح الهام ثم جلس على الكرسى بين المكتبين . توقفت عن دق الآلة الكاتبة وسألته :

ـ لا جديد ؟ .

ـ أجاب وهو يفيق نهائيا من لفحة الجحيم :

ـ مكالمات ومقابلات غير مجدية . .

ـ الصبر طيب .

تابع أصابعها فوق احرف الآلة بارتياح خفف عنه متاعبه . وبدا عنقها طويلا وهى خالعة چاكتتها وفى صفحته اليسرى لاح خال . ورغم سعادته برؤيتها فاجأه حزن طارىء لا تفسير له . وتبين أن احسان الطنطاوى ينجز اعلان وفاة فحاصرته ذكريات الليلة الأخيرة لأمه . ووضحت له تعاسة مركزه فى الوجود اذ يعتمد كلية على شبيه بالسراب . وحانت فى تلك اللحظة التفاتة سريعة من الهام اليه فانشرح صدره وتجاهل همومه . وفرغ احسان الطنطاوى من اعلان الوفاة فحياه قائلا بشىء من الخبث :

- تجديد ؟

ضحك وهو يحنى رأسه فى تسليم ، ثم سأله :

- جاءنى كثيرون أما هو فلا حياة لمن تنادى ، ما تفسير ذلك ؟

- الاعلان من هذا النوع يتطلب المثابرة .

- ولكن المفروض أن الرجل معروف على أوسع نطاق !

- أنت لا تعرف سوى اسمه ، وما عدا ذلك بالسماع عرفته ، ولا يمكن أن تقطع فى ذلك برأى حاسم ، وأنا رجل عشت فى مختلف الأوساط بالقاهرة زهاء ثلاثين عاما ولم أسمع عنه . .

- ولكنى أصدق تماما من أرسلنى للبحث عنه .

- اذن ففى المسألة سر ستكشفه لك الأيام .

تفكر قليلا ثم قال :

- عندى له صورة قديمة أخذت له منذ ثلاثين عاما .

- نضيفها اذا شئت الى الاعلان فتضاعف من فائدته .

وأراه الصورة فتفحصها ثم تمتم باعجاب :

- يا له من شخصية !

وانتظر صابر فى اشفاق أن يلاحظ الرجل وجوه الشبه بينه وبين صاحب الصورة ولكنه لم يلاحظ شيئا ، ومضى يتحدث عن الاعلان الجديد وتكاليفه . ووافق صابر على الاقتراح مرغما ، ثم غادر الجريدة وهو يفكر فى نقوده التى تتناقص يوما بعد يوم ، والتى سيضحى بعد نفاذها معدما كمتسول . وذهب الى ڤتركوان فجلس الى مائدة الهام ينتظر . ولما رأته ترددت فى شىء من الارتباك ولكنه أزال ترددها بوقوفه مرحبا . وبمجرد ان جلست طلب الغداء من الشطائر والعصير ، وتصرف بلا كلفة ليبدد دهشة اللقاء . واذا بها تقول :

- رأيت الصورة !

- حقا ؟ .

- أنت تشبهه !

- تعنين الرجل ؟

هزت راسها موافقة وهى ترمقه بارتياب فلم يجد بدا من اختلاق كذبة جديدة فقال :

- انه أخى ..

- أخوك ! ، معقول جداً ، ولكن لماذا لم تقل ذلك من الأول ؟

فابتسم ولم يجب فسألته :

- ومن الفتاة الجميلة ؟

- كانت زوجته رحمها الله ..

- آه ، وهل .. اعنى أخاك .. كيف ..

- اختفى قبيل مولدى ، خلاف ثم اختفاء كما يقع احيانا ، واخيرا بعد ثلاثين عاما أرسلنى أبى العجوز للبحث عنه ..

- حقا انها قصة مثيرة ، ولكن لم تعتقد انه شخصية معروفة ؟

- هكذا قال لى أبى ، ولعله مجرد استنتاج ، ولكن العجيب أن احسان الطنطاوى لم يلاحظ الشبه بيننا عندما أريته الصورة فهل حدثك عن ذلك بعد ذهابى ؟

- كلا ، رغم وضوح الشبه ، ولكن رأس الأستاذ احسان مشغول بالحسابات ..

وجاءت أطباق الشطائر قبدأ الغداء . وعند ذاك قال معتذرا :

- آسف على تطفلى ، ولكنى وحيد فى المدينة والفراغ يوشك أن يقتلنى ..

فقبلت عذره بابتسامة وسألته :

- كيف تمضى وقتك ؟

- فى الانتظار .

- هذا ممل جدا ، ثم ان البحث غير الانتظار .

- نعم ولكنه لا يخلو من فترات انتظار .

- وماذا تفعل فى أوقات الانتظار ؟

- لا شىء !

ـ غير معقول .

فقال برجاء :

ـ من هنا تلمسين مدى حاجتى الى صديق .

ووشى تورد وجنتيها بتشربها الاشارة فتشجع قائلا :

ـ وأنت الصديق !

شربت قليلا من الماء ثم واصلت الطعام فتساءل :

ـ ما رايك ؟

ـ قد تكون مغاليا فى ظنك .

ـ هذه الشؤون تعرف بالقلب .

ـ يمكن ان نتقابل كلما جئت لتجديد الاعلان .

فضحك قائلا :

ـ اذن فانت تريديننى على ان اواصل الاعلان الى الأبد ؟

ـ ما دام يهمك العثور عليه .

ـ هو ذلك ، ولكن اذا اثبت الاعلان عقمه فسوف أستأنف البحث .

ورفعت كوب البرتقال فرفع كوبه قائلا :

ـ صحتك ! .

ـ أنت تشجعنى على الحذر منك !

وشربا وهما يتبادلان الابتسام . وقال انه ما كان يطاردها لو كانت مكان الأخرى عند ساحل الصيادين . وقال انها عزيزة جدا وهو يحبها . ومن الفتاة الجميلة . عجيب موقع السؤال من اذنك . ولكنها لم ترها فى الليلة الأخيرة . ولم تر كفنها النحيل كلا شىء .

وقال بدهاء :

ـ أشكرك جدا !

وجدت فى الشكر فخا ولكنها لم تبد احتجاجا . وحل صمت سعيد فانغرست بذور التفاهم . وطريق البحث شاق ومحرق وطويل فيحتاج الى استراحة من الظل الظليل .

# ٥

تعب البصر من تفحص الوجوه . وشوارع القاهرة الزاخرة بتيارات البشر والسيارات كأمواج البحر فى الأيام العاصفة . وسحب الخريف الواردة من الاسكندرية يتبدد أكثرها قبل الوصول الى سماء القاهرة ولكن ذكريات الاسكندرية مشتعلة ابدا فى القلب المنتظر . ولم تعد استراحة الفندق مرهقة مذ عادت المرأة من رحلتها ولكنها فى الحق معذبة . وليس نادرا أن ترى بمجلسها الى جانب زوجها وأنت ترصدها من أقصى الاستراحة ، ولها نظرة دسمة موحية تتفجر همساتها كالشرر . وكم من محاولات فاشلة بذلت للانفراد بها فى طرقات السلم ، وقد تدرى بها من بُعد فتفسدها عليك ثم تجيء الى مجلسها ساخرة . وهى لا ترد ابتسامة وتتجاهل اى اشارة ، ومن خلال حيرة ضبابية تلتمع بوارق اغراء لاسلكية . وكلما جن جنون الاثارة تمنى الهلاك لجميع من بالفندق لينقض عليها فى الخلاء الصامت . فى هذه الحالات الجنونية تنزوى الهام فى ركن كالندم عند طغيان الجريمة . ويفيق أحيانا على روائح السجائر والبصل وأحاديث القطن والقمح والحرب المدمرة . لعلهم مثلك يجرون وراء أمل شبيه بما يعدك به أبوك المفتقد . ومن صميم ذهوله استيقظ مرة على صوت محمد الساوى وهو يهتف :

ــ صابر افندى .. تليفون ..

وثب فى انتباه حاد واندفع نحو المكتب . هل أخيرا .. ؟. وتأهبت جميع حواسه لسماع الكلمة الموعودة .

ــ آلو ؟ !

ــ حضرتك صاحب الاعلان ؟

أجاب وهو يحس بدبيب دموع الراحة فى أقصى مسالك عينيه :

ــ نعم ، من حضرتك ؟

ــ أنا الرجل الذى تطلب فيما أعتقد ..

ــ سيد سيد الرحيمى ؟

ــ نعم ..

ــ هل الصورة صورتك ؟

ــ نعم ..

ازدرد ريقه بصعوبة ثم قال بصوت متهدج :

ــ كيف أقابلك ؟ ، أى مكان تحدده ؟

ــ ولكن لماذا تريدنى ؟

ــ فلنؤجل ذلك للمقابلة ..

ــ أفضل أن تعطينى فكرة قبل المقابلة ..

ــ لكن ذلك متعذر بالتليفون ولا ضرر من المقابلة البتة ..

ــ هل يمكن أن أعرف من أنت ؟

ــ اسمى منشور فى الاعلان ..

ــ اعنى مهنتك أو عملك ؟ .

ــ من الأعيان ..

ــ ولم تريدنى ؟

ــ ستعرف ذلك فى الوقت الذى تحدده ، وكله خير ..

وسكت الصوت قليلا ثم قال :

ــ تعال الآن .. اليك العنوان : ڤيلا ١٥ شارع التلبانة بشبرا ..

سأل عم خليل وعم محمد عن العنوان ولكنهما لم يعرفاه وقال له الساوى :

ــ أسماء الشوارع تتغير كل ساعة ، أذهب الى شبرا أولا ثم اسأل هناك عن الشارع ..



وكلما جن جنون الاثارة تمنى الهلاك لجميع من
بالفندق لينقض عليها فى الخــلاء الصامت ..

وذهب الى شبرا . وحرق ساعات النهار فى البحث والسؤال مندفعا باصرار محموم ولكنه لم يجد أحدا قد سمع عن الشارع . ولما اعياه التخبط ذهب الى قسم شبرا وهناك تأكد من عدم وجود شارع بهذا الاسم . تداعى الى فراغ اليأس . هل اخطأ السمع ؟ ، هل عبث به عابث ؟ .

ورجع الى الفندق وصوت الشحاذ يعلو بالمديح فكره كل شىء الى حد المرض . ولما رأى المرأة فى مجلسها المألوف امتزجت كراهيته برغبة عنيفة دموية . واخبره الساوى أن شخصا سأل عنه فى التليفون أكثر من مرة ورجح انه نفس الشخص الذى طلبه أول النهار ، فعاوده الأمل وقال انه اخطأ السمع بلا شك وأن الرجل استبطأه فكرر السؤال عنه . وتمتم عم خليل :

ــ وفقت ان شاء الله ؟

فأجاب متظاهرا بالمرح :

ــ فى الطريق ..

وخطف من المرأة نظرة ثم مضى الى مجلسه بالاستراحة منهوك القوى . وتسللت الى المكان كآبة مساء الخريف فأضيئت الأنوار . واختفت المرأة فازدادت الكآبة كثافة . لا شك أن الرجل سيعيد المكالمة . واذا بالساوى يلوح له بالسماعة فهرع اليه :

ــ آلو ..

ــ صابر ؟ .. فات النهار ولم تأت ؟

ــ لكنى لم أجد الشارع ..

ــ هل بحثت عنه حقا ؟

ــ طول النهار تقريبا .. التلبانة رقم ١٥ بشبرا ..

ــ حقيقة انك حمار ..

وضحك ضحكة طويلة قبل أن يغلق السكة . أعاد السماعة وغادر الفندق . انتفض طوال الوقت من الغضب . عابث كلب وغد . هكذا يرد الى نقطة البدء ودون بادرة أمل . وذهب الى

بقالة الحرية بكلوت بك فاشترى زجاجة كونياك وأعد له الرجل عشاء سمك . يوم عبث ويأس فلا أقـــل من أن يختم بسهرة مستهترة . وشرب بسرعة ودون أدنى اهتمام بالنقود التى تنفق . كأيام النبى دنيال . عندما قالت له الدنيا جميلة وانت زهرتها . وهواء الاسكندرية المعربد المليء بالفتن . اما هذه المدينة فلا يلقى فيها الا العناء . وكل ساعة تمر تقربه من النهاية المخيفة . وماذا بعد الانتظار والجرى وراء المجهول فى الظلام ؟. واذا خطر له أن يمتهن مهنة امه فسيكون هزءة رجال الليل بالاسكندرية . واللكمة التى كانت تؤدبهم تنقلب راحة مبسوطة لخدمتهم . الجريمة دون ذلك يا أوغاد . لعل عابث التليفون واحد منكم فالويل لكم . وامراة الفندق متعة يرغب فيها منذ عهد الأنفوشي والهام عبير طيب ولكن ما قيمة اى شيء قبل العثور على الأب ؟. وتبسم بالنشوة رغم رائحة السمك . ومضى يسير تحت البواكى المقطبة . وحن الى الرقص فى الكنار الليلى ، والشوارع السنجابية المغســـولة بماء المطر . والهواء المنبعث من الهـــدير الذى يغطى الأجساد بغلالة سمراء . ومس دمه جنون حيوانى كليلة المطاردة . وأمه كانت تدخن النارجيلة وتحكم الرجال . وعندما تجلس لمناقشته تجلس كملكة . وقالت له افعل ما تشاء ولكن لا تسرف فلا عدو لنا الا الفقر . وقالت له اعشق كل يوم امرأة ولكن لا تجعل لاحداهن من سلطان عليك . وهام على وجهه فى الليل كالثور . وفى ملهى الكنار تعبث الأيدى تحت الموائد عبثا فاضحا . ولكن أين سيد سيد الرحيمى ؟. وهتف بصـــوته المليء « يا رحيمى » ثم راح يدندن بالأغنية الاسكندرانية « ما تبطل الشقاوة وتعال عندنا » . وبحكم الكونياك والسمك والهم جرد الزوجة من ثيابها وعبث بها بوحشية . ورجع الى الفندق عند منتصف الليل فوجده غارقا فى النوم . ودخن سيجارة فى حجرته الأثرية ثم نام . واستيقظ . انتبه الى أنه استيقظ على صوت وفتح عينيه . ثمة ظلمة عميقة

والنافذة لم تنضح بأى نور . ثم سمع نقرا خفيفا متقطعا على الباب . جلس وهو يرهف السمع فعاوده النقر الخفيف الحذر . مد يده الى مفتاح الكهرباء فأضاء المصباح العارى ثم مضى الى الباب وفتحه بخفة . وما ان تحركت الضلفة عن فرجة حتى مرق منها شخص ثم رد الباب وراءه بسرعة . اشتعل يقظة وهو يحملق فيها ثم غمغم بذهول نشوان :

ــ أنت ! ؟

نظرت فيما حولها بحركة تمثيلية مازحة كأنما فوجئت بخطأ لم يجر على البال وتمتمت :

ــ اين أنا ؟ . . أخطأت المكان ؟ . .

وحبكت الروب حول صدرها نصف العارى وعضت على شفتيها لتئد ابتسامة فجذبها الى صدره ، الى بيچامته المبعثرة وشعره المنكوش ، وضمها اليه بقوة تعادل الصبر المعذب الطويل .

ــ أما أنا فانى أنتظر مائة عام !

واتجها ملتصقين نحو السرير . وفى الطريق أطفأ النور .

ــ ألم تصادفك متاعب ؟

ــ كلا . .

هى ادرى بأمرها وهو لا يهمه شىء . ورفع شفتيه عن ثغرها لحظة ليسألها :

ــ لم أعرف اسمك ؟

ــ كريمة . .

فهمس فى اذنها من خلال أنفاس حارة :

ــ جدا !.

اذن فانت من النوع المقتحم !.. لم أفطن الى طبعك بسبب دهائك الجميل . وفى الوقت المناسب لا يردك شىء عما تريدين . ما أحلى الحب فى الظلام . وتحقق حلم الجنون فى دوامة من الذهول . وانصهر التأمل فى وقدة طاغية . وسبحت موجة من النار فى

الظلمة الدامسة . واستحكمت لحظات النسيان المطلق فالتهمت الماضى والحاضر والمستقبل .

ـ قلت انك اكثر من كريمة !

ـ وانت ؟!

وتسللت الى انفه رائحة خفيفة ولكنها مثيرة جمة الذكريات . وتوقع أن يسمع هدير البحر . حتى تواصل تردد الأنفاس كصدى رنين الأوتار بعد توقف العزف . ورأى الظلمة مرة اخرى . سواء فتح عينيه استطلاعا أم اغمضهما شبعا وارتياحا . وقال بصوت منغوم :

ـ فى الدنيا أشياء تستحق عليها التهنئة حقا .

ـ سيجارة من فضلك .

اشعل لها سيجارة وهو يقول :

ـ ظننتك غير مدخنة . .

ـ نادر جدا ما أدخن !

وترك العود يعكس على جسدها ضوءه ، ولكنها نفخته فساد الظلام وانتشرت رائحة فسفورية خفيفة .

ـ لم المس فيك طوال الأيام الماضية الا المعاندة ؟

ـ ولا المعاندة ! ، انا لا أبدى شيئا !

ـ أما انا فصارحتك بكل شىء من أول يوم !

فضحكت قائلة :

ـ عندما رأيتك قادما منذ عشرة أيام قلت لنفسى هذا هو . .

فهتف بانتصار :

ـ الاسكندرية ؟ !

ـ كلا ، لا أقصد هذا ولكننى قلت هذا هو رجلى !

ـ والاسكندرية ؟

ـ انت تختلق حكايات لا أصل لها .

ـ حقا ؟

ـ ولم اكذب عليك ؟

ـ عجيب أن يخلق مثلك مرتين !

ـ يجب الا يسرقنا الوقت حتى لا تحدث حوادث !

ـ كيف أمكنك المجيء ؟

ـ اخذ المنوم فنام ، متاعبه كلها تتجمع عند النوم .

ـ ولكنك خيبت ظنى ، طالما قلت لنفسى اذا كانت هى فتاة الاسكندرية فقد يعنى هذا اننى ساوفق فى البحث ..

ـ تعنى أباك ؟

ـ نعم ..

ـ ما حكايتك بالضبط ؟

ـ نشأت وأنا اظن ابى ميتا ثم أخبرنى ثقة بأنه حى ، هذه هى الحكاية باختصار ..

ـ لعلك تبحث عن المال ؟

ـ ولكنه ليس كل شىء ، الذى يهمنى الآن اكثر من سواه أن أسمع منك أنك ستجيئين كل ليلة ؟

ـ كلما وجدت فرصة .

فقبلها قبلة طويلة هادئة فقالت بشقاوة :

ـ كلما راق لى ذلك !

فتنسم عبير صدرها بامتنان وقال بتوسل :

ـ لا تنكرى الاسكندرية !

ـ انت مجنون بخيال ، واحذر أن تكون كذلك فى حكاية أبيك !

فقال بوجوم :

ـ أود لو كان ذلك كذلك لأريح نفسى ..

ـ همك اكبر مما ظننت !

ـ نعم ، ولكن همى الجديد ، بعد هذه الليلة ، أن أبقى هنا اكبر مدة ممكنة .

ـ وماذا يمنعك من ذلك ؟

بعد تفكير :
ـ اذا نفدت نقودى قبل العثور على أبى وجب على الرجوع الى الاسكندرية .
ـ ومتى تعود الينا فى تلك الحال ؟
ـ علىّ أن أبحث عن عمل هناك .
فشبكت أصابع يدها فى أصابع يده وقالت :
ـ لا ..
ارتفع انتباهه الى القمة فعادت تسأله :
ـ ولم لا تبحث عنه هنا ؟
ـ غير ممكن !
ـ كلك ألغاز ، ولكنى أخبرك بأن النقود ليست مشكلة .
خفق قلبه وقال مقتبسا من جو الكنار الليلى :
ـ الظاهر انك مليونيرة .
فقالت فى مباهاة :
ـ هذا الفندق .. والمال .. كل شىء باسمى أنا !
ـ والرجل موظف عندك ؟
ـ كلا ، هو المتصرف فى ماله طالما انه على قيد الحياة .
ـ على أى حال هذا لا يعنى شيئا بالنسبة الى !
وخجل من مكره الساذج رغم الظلام فقالت :
ـ لندع الله أن يهديك الى أبيك فهو حل أيسر من غيره .
ـ هذا ضرورى ولو أننى لن أهتم منذ الساعة بشىء سوى انتظارك .
واحاطها بذراعه ولكنها تزحزحت الى حافة السرير قائلة :
ـ اقترب الفجر ووجب الذهاب ..
ورجع الى سريره بعد أن أغلق الباب وعناقها لاصق به كالعبير .
واستلقى فى ارتياح عميق فسرعان ما زحف عليه التخدير . وقال



واحاطها بذراعه ولكنها تزحزحت الى حافة
السرير قائلة : اقترب الفجر ووجب الذهاب

انه يشعر لأول مرة بأنه يحتمل أن يستغنى عن أبيه ، ولكن عندما لوح له الساوى بسماعة التليفون هرع اليه كالريح ثم هتف بجزع :

ــ الو ؟

واذا بصوتٍ جاد يسأل :

ــ صابر سيد صاحب الاعلان ؟

ــ نعم انا هو !

ــ انا سيد سيد الرحيمى فماذا تريد ؟

ــ لا بد من مقابلتك . .

ــ انا منتظرك بمحل ڤتركوان ، هل تعرفه ؟

ــ نعم ، سأكون عندك فى خلال دقائق .

وأجال عينيه فى المحل حتى رأى رجلا جالسا آلى مائدة الهام لم يشك لحظة فى أنه صاحب الصورة . بل انه لم يكد يتغير فى مدى الثلاثين عاما ، عدا انتشار المشيب فى سوالفه وانطباع تجاعيد غير ملحوظة الا عند التدقيق حول فيه وتحت عينيه . نظر صوبه فى رهبة حقيقية اذ وجده أضخم وأفخم من أى خيال . واتجه نحوه حتى حدس الرجل شخصيته فنهض لاستقباله فتصافحا وصابر لا يحول عنه عينيه .

ــ صابر افندى ؟

ــ نعم ، وسيادتك صاحب الصورة بلا ريب .

وجلسا والرجل يقول :

ــ انت شاب فى عز الشباب ، ويخيل الى أنى رأيتك قبل الآن ، أين يا ترى ؟

ــ أنا فى الأصل من الاسكندرية ، وانزل الآن فى فندق القاهرة بشارع الفسقية ، وأمشى كثيرا فى شارع كلوت بك وميدان المحطة ، وقد جلست اكثر من مرة الى هذه المائدة !

ــ لا شك انى رأيتك فى أحد هذه الأماكن ، فانا ازور

الاسكندرية من آن لآن ، وامر كل يوم بميدان المحطة ، وليس نادرا ان اجلس فى هذا المحل !

فهتف صابر :

ــ هذا اعجب ما سمعت ، ولو انني لا اذكر اني رايتك من قبل الا بالتخيل ، ولكن متى اطلعت على الاعلان ؟

ــ منذ أول يوم !

ــ حقا ! ، ولكنك لم تتصل بى الا اليوم !

ــ بلى ، ذلك أن الاعلان يدل على انك لم تستطع الاهتداء الى بالطريق العادى على حين اننى رجل معروف جدا ولا أيسر من الاهتداء الى بيتى أو مكان عملى ، لذلك تجاهلت نداءك ، ولما لمست الحاحك لم ار بدا من الاتصال بك .

ــ هذا عجيب حقا فانى لم أصادف أحدا يعرفك ، ولا رقم لك فى الدليل .

ــ لندع ذلك الآن وخبرنى عما تريد ؟

ــ الحق انى أريدك انت ، ولكن الا تلاحظ شيئا يا سيدى ؟

ونظر فى وجهه متوقعا أن يلاحظ الشبه بينه وبين الصــورة ولكنه خيب ظنه فقال بجزع :

ــ انظر الى وجهى !

ــ ماذا فى وجهك ؟

وهنا سمع صوتا يهمس :

ــ أستاذ صابر !

التفت نحو الصوت فرأى الهام واقفة . نهض فصافحها ثم هم بتقديمها الى أبيه ، واذا بالرجل يمد لها يده قائلا :

ــ الهام ! ، كيف حالك ؟

وقبلت الفتاة يده باحترام فهتف صابر :

ــ اذن انت تعرفينه !

فسأله الرجل دون اكتراث بدهشته :

ـ خبرنى متى عرفت ابنتى ؟

فصاح صابر :

ـ ابنتك ! ، رباه !

وبسرعة غير متوقعة غادرت الهام المكان قبل أن يستطيع منعها ، وقال الرحيمى بهدوئه الذى لزمه طيلة الوقت :

ـ كثيرا ما أسمع كلاما لا معنى له ، ومنه ما يمسنى شخصيا ولكنى لا أكترث لذلك البتة ، خبرنى الآن عما تريد ؟

جلس صابر فى حال من الانحلال التام ، وبحركة آلية قدم له الصورة الجامعة بينه وبين أمه التى رأى نصفها فى الاعلان ، ووثيقة زواجه بأمه ، وشهادة ميلاده ، وشهادة تحقيق الشخصية . نظر الرجل فيها واحدة بعد أخرى وهو هادىء كتمثال . وبكل برود وضع كلا منها فوق الأخرى ، وبحركة سريعة حاسمة راح يمزقها اربا . صرخ صابر وانقض عليه يريد أن يمنعه ولكن بعد فوات الأوان . أمسك بثنية الچاكتة وصاح به :

ـ أنت تمحو وجودى محوا فالويل لك .

فقال الرجل دون أن يخرج عن هدوئه المثير :

ـ ابعد عنى ، لا ترنى وجهك ، دجال كأمك ، ولا شأن لى بك ، اذهب . .

ودفعه عنه فتقهقر حتى اصطدم رأسه بحافة البوفيه .

واستيقظ . فتح عينيه وهو يتنفس بصعوبة فرأى الحجرة الأثرية على ضوء النهار الذى ينضح به الشيش . وأدرك أنه عار تماما تحت الغطاء فتذكر الليلة المنطوية بجميع ملابساتها ، وتنهد بارتياح ، ولكنه شعر ـ لشدة انفعاله بالحلم ـ باعياء وحزن .

# ٦

وتعددت أحلامه لدرجة أثارت انزعاجه وامتعاضه . ويستيقظ فيلازمه شعور بالتعب والكدر وأحيانا يخيل اليه أن الصمت يخنق العالم . وكثيرا ما يذكره ذلك الصمت بالصمت المصاحب لارتفاع الموجة وتجمعها قبل أن تنفجر مرعدة مزبدة . وفى الحلم يطل عليه وجه ابيه بالرغم من أن العشق أصبح المحور الذى تدور حوله حياته ، العشق الذائب فى أحضان الظلمة . وهو يكره الأحلام لأنها ترجعه الى فترة ماضية من حياته الح فيها عليه الصرع حتى أوشك أن يهلكه . وطاردته ذكريات المرض طويلا بعد شفائه منه فكان الصرع من أسباب اندفاعه فى طريق البأس والقوة كسمعة أمه سواء بسواء . أما الصراع الذى يخوضه فى الأحلام فيورثه عقب اليقظة انهاكا وحزنا فيمتلىء بأفكار الفناء ، واذا ترامى اليه الأذان من الجامع القريب وهو على تلك الحال تضاعف حزنه .

وعندما دخل ادارة الاعلانات بجريدة أبو الهول تطلع اليه نفر من الموظفين فى فضول ولكن تطلع الهام اليه أفعمه بنشوة أحلى من بسمة الفجر الأولى فوق البحر الأبيض . وصافحها بحرارة كما ينبغى لصديق فسألته :

ـ أما من جديد ؟

فأجاب وهو يملأ من وجهها عينيه :

ـ جئت لأجدد الاعلان ولو اننى ترددت طويلا هذه المرة !

ـ هل تفكر فى وسائل أخرى ؟

ابتسم ولكنه لم يخبرها بأن اهتمامه بالعثور على الرحيمى لم يعد فى مكانته الأولى . وقال له الأستاذ احسنان طنطاوى :

- عندنا لك مفاجأة .

فجلس وهو يتساءل فقال الرجل :

- سألت عليك امرأة بالتليفون . .

- امرأة ؟ !

- سألت عن سر الاعلان .

- حقا ! ، ومن هى ؟

- لم تكشف لنا عن هويتها ولم نشف لها غليلا بطبيعة الحال .

- اليس من المحتمل أن تكون من طرف الرحيمى ؟

فقالت الهام :

- قد وقد ؟

- وما قد الأخرى ؟

فقال الطنطاوى ضاحكا :

- قد تكون من طرفك أنت !

استعذب هذا التحقيق الذى أخذ بجامع قلبه وقال :

- أو عابثة من العابثين ، لقد لعب معى أحدهم لعبة سخيفة .

ترى هل المرأة من طرف الرحيمى ؟ ، زوجته أو ارملته ؟ ، أو لعلها كريمة دفعت الى ذلك بحب الاستطلاع ، انها امرأة مجربة لا تصدق شيئا بسهولة . هى داهية بقدر ما هى فتاكة بقدر ماهى لذة طاغيـــة . وجلس الى المائدة بفتركوان فتذكر لحظـات الحلم العجيب . وجاءت الهام فاتخذت مجلسها ، وطلب الغداء ، وتبادلا ابتساما ودودا ، وقالت :

- لست على حماسك الأول للاعلان وهذا احسن .

انت لا تدرين شيئا عما خفض درجة حماسى ! .

- أحسن ؟

- نعم فهذا البحث يجب أن يترك للزمن الطويل .

- ولكن الا تسمحين لى بأن أدفع ثمن الغداء ولو مرة ؟

- انت الضيف لا انا !

ـ ما ألطفك يا آنسة الهام ، الا يمكن أن أذكر الاسم مجردا ؟

ـ بكل سرور .

ـ ما ألطفك !

ومضيا يتناولان الطعام فى ارتياح وسرور . وقرأ فى عينيهـا الزرقاوين اهتماما بموضـوع ما لن يلبث أن يترجم الى كلمات فانتظر الكلام بشغف مؤملا أن يكشف فيه عن حقيقة مشاعرها . وتذكر ظلمة النصف الثانى من الليل وذوبانه فى فتنة رائعة فعجب لانقسامه الحاد بين المرأتين . وقالت :

ـ يخيل الى أنك فى اجازة خاصة لانجاز هذه المهمة ؟

تجس النبض للتعرف عليه . وساوره قلق ولكنه قال :

ـ لست موظفا بأى معنى لهذه الكلمة ، أنا من الأعيان !

ـ تزرع أرضك ؟

ـ أبى من ذوى الأملاك .

واضح أنها تتستر على شعور بعدم الارتياح . قال :

ـ وأنا أدير أملاكه العقارية وهو عمل أثقل من أى وظيفة !

ثانى كذبة يكذبها عليها وهو كاره رغم أنه لم يكذب بعد على المرأة الأخرى .

ـ المهم أنك لا تعيش فى فراغ فهو عدو البشر .

ـ هو كذلك ، عانيته أسبوعين ، ولكن كيف عرفت ذلك ؟

ـ ليس عسيرا أن أتصوره ، ثم انى قرأت عنه .

ـ التجربة لا تكون حقيقية الا حين أمارسها .

ـ رأى وجيه .

ـ فى سنك هذه لايتاح لك معرفة الحقائق بطريقتى الا فيما ندر!

ـ ان كنت تتصورنى طفلة فأقلع عن تصورك !

يا ربى كم أحبها وكم يسعدنى الوجود بقربها . وتقدم خطوة جديدة فقال :

ـ أنت تعرفين كل شىء عنى تقريبا فهل تعرفيننى بك ؟

ـ وماذا أعرف عنك ؟

ـ اسمى ، عملى ، ابى ، مهمتى فى القاهرة ، اعجابى بك !

وهى تضحك ضحكة صامتة :

ـ لا تخلط الحقائق بالخيال !

وقال لنفسه بل هو الحقيقة الوحيدة التى عرفتها . وتجهم الجو فى المحل كأن نوافذه اغلقت ، وغاب اشراق الظهيرة السابح وراء الحاجز الزجاجى فى الخارج فتخيلا جسامة السحابة التى اخفت الشمس .

وقال مستدرجا اياها الى الاعتراف :

ـ وبدورى فأنا اعرف اسمك ووظيفتك .

ـ وماذا تريد أن تعرف أكثر ؟

ـ ما تجودين به ، متى توظفت ؟

ـ منذ ثلاثة أعوام ، وهو تاريخ تخرجى فى التجارة الثانوية ، ولكننى مستمرة فى التعلم .

وقلق . لا تسألى عن مؤهلاتى فالكذب هنا لا يجدى . ولكنك لبقة مهذبة .

ـ وأسرتك بالجيزة ، هه ؟

ـ أعيش مع أمى فقط ، أسرتنا من قليوب ، وخالى بمصر الجديدة ، المهم أن فى أسرتنا مفقودا مهما كما فى أسرتك .

فقال بدهشة :

ـ من هو ؟

أجابت وهى تكتم ضحكة :

ـ ابى !

اتسعت عيناه الجميلتان فى ذهول . وتذكر الحلم العجيب . وقصه عليها محورا فيه بما يتمشى مع كذبته الأولى . الآباء المفقودون أكثر مما تتصور . ولعلهما يبحثان عن اب واحد .

ـ لكن كيف فقد ابوك ؟

ـ لا كأخيك ، الا ترى أننى أبيح أسرار أسرتى بغير حساب ؟

فرمقهـا بعتاب ما لبث أن اختفى وراء نظرة متألقة بحب الاستطلاع فى ذروته ، فقالت :

ـ الحقيقة أن أبى انفصل عن أمى وأنا فى المهد .

ـ هرب ؟

ضحكت ضحكة عالية فتنبه الى هفوته قائلا :

ـ أعنى اختفى ؟

ـ انه محام معروف فى أسيوط ولعلك سمعت عنه فهو الأستاذ عمرو زايد .

زال عنه توتر التوقع فقال فى دعابة :

ـ ظننته سيد سيد الرحيمى !

فتساءلت ضاحكة :

ـ أيسعدك أن تكون عمى ؟

فأجاب بقوة :

ـ كلا .

تورد وجهها الأسمر وهى تقول :

ـ صممت امى من بادىء الأمر على الاحتفاظ بى الى النهاية ، وجاراها أبى اذ كان شارعا فى الزواج من أخرى ، فاتفقا على نفقة ، ثم عادت الى بيت جدى بالقاهرة ، وبعد وفاته عشنا وحيدين .

تابع القصة بقلب لم يخل من سوء ظن . كحاله مع جميع النساء والأمهات خاصة . بيد أن الهام لم تسمع قطعا عن القوادين والبلطجية والبرمجية . هل تستطيع أن تحكى قصتك فى مثل هذا التفصيل ؟ . وغيمت روحه كالسماء .

ـ ويوما قال خالى ان على أن أعرف أبى فقالت أمى انه لا يستحق ذلك وانه لم يسع الى رؤيتها مرة واحدة ، وكنت أشعر طوال الوقت أننى بلا أب ، وقال خالى أننى أكبر يوما بعد يوم وأنه لا غنى لى عن أبى بحال .

فغمغم وهو لا يدرى تقريبا :

ـــ الحرية والكرامة والسلام !

فهزت منكبيها فى استهانة وقالت :

ـــ أصرت أمى على الرفض خشية أن يفكر فى استردادى ، وانضممت اليها بلا تحفظ ، واتفق رأينا على أن العمل أهم من الأب وأبقى .

ـــ آه كيف تتكلم الجميلة ؟ . أى عمل يغنى عن الحرية والكرامة والسلام ؟

ـــ واجتهدت حتى أكملت تعليمى ، وحصلت على الوظيفة فى امتحان أعلنت عنه الجريدة ، وانتسبت بعد ذلك الى معهد تجارى عال .

ـــ وأبوك ألا تفكرين فيه ؟

ـــ كأنه غير موجود ، وهو الذى اختار ذلك !

ـــ لأنك فى غير حاجة اليه ؟

ـــ كلا ، فأنا فى غير حاجة الى أمى كذلك ولكنى أحبها ولا أتصور الدنيا من غيرها .

ليست على شفا هاوية مثلك . وليست جائعة الى الحرية والكرامة والسلام . ولا يهددها ماض ملوث قد ينقلب فى أى لحظة فيصير لها المستقبل الوحيد .

ـــ انى سعيدة بعملى رغم أننى لست مثلك من الأغنياء !

طعنته وهى لا تدرى . ولكن الهيام غلب على جميع مشاعره . ولولا خوفه لاعترف لها بحقيقة حاله . ولما ذهبت شعر بقلق فى وحدته . ان سمو عواطفه نحوها يغريه بأن يجرب معها حيوانيته. وهو اغراء يقترحه عقله لا احساسه . وهو اذ يتخيل ذلك فانما يتخيلها مذعورة من المباغتة ثم يتخيل نفسه مخذولا منهزما . وليس عقله وحده الذى يغريه بذلك ولكن تقاليده فى معاملة النساء ورغبته الثابتة فى العبث بما يسمى بالأخلاق الفاضلة . وكما يغطى

تلوثه بالقوة فهو يغطيه أيضا بالاعتداء على الفضائل ليجعل من ماضيه قاعدة لا استثناء معيبا . ولذلك فان الهام وان قامت فى حياته كالمنار الا انها أقلقت مخاوفه وعقده وزعزعت أركان العالم الذى بناه لنفسه واطمأن اليه ، وفى الحقيقة هو لا ينسى عذابه الا فى نار كريمة التى تشتعل فى ظلام النصف الثانى من الليل .

ومشى فى الشوارع مستسلما لجو نوفمبر اللطيف المنشط ، حتى بلغ فندق القاهرة حوالى العصر . رأى عم خليل مهوم الرأس تحت طربوشه الطويل ، وعم محمد الساوى مقتعدا كرسيه من خلاف عاقدا ذراعيه فوق مسنده . جلس فى الاستراحة ساعة ثم قام الى التليفون فطلب الهام وقال لها :

ـ سأقابلك غدا فى فتركوان فهل تأذنين ؟

ـ بكل سرور ، ولكن خيرا ان شاء الله ؟

ـ كله خير ، ولكنى سأقابلك كلما أمكننى ذلك !

# ٧

العزاء الحقيقى تجود به ظلمة النصف الثانى من الليل . عندما تعزف الأنفاس المترددة الحانا من الغابات . عندما يسود النسيان المطلق الأرض والأفلاك . غذاء دسم وراحة ابدية لا كالقلق النشوان وعذاب الوحدة التى تخلفها وراءها الهام . ولم تنقطع عنه ليلة واحدة . مذ ايقظه طرقها الحذر من نومة السكران . ومضت سيطرتها تزحف عليه كالزمن لا مهرب منه . وهو بفضل تجاربه السابقة يمثل دور المسيطر المتحفظ ولكن كم تخونه اللحظات . وبهذه القوة لم تتمكن منه امرأة من قبل ، ولم تشده بمثل هذه الأغلال . وهو لم يجد عندها استجابة واحدة فلم يدر الا الظن ما حقيقتها . قليلة ذابت فى أحضانه وهمست فى اذنه :

ـ لا حياة لى بدونك !

كذكريات الكنار الليلى على انغام البحر وتلك الليالى الظافرة فى كل شىء . وربت على خدها بحنان وسيادة وهو يسبح بعزم ضد موجة تشده نحو أعماق الخضوع . هى كل شىء . الحب ، والآمال التى بعثته يجرى وراء الأب الضائع . وفى ليلة أخرى آنس منها تحفظا شاردا . واستسلاما خامدا . لاتعليق ولا حماس ولا نفور . عند ذاك سهد متفكرا حتى مطلع الفجر . ومن شدة ضيقه ناجى الهام داعيا الروح الرقيق المنبثق منهـا كعبير فاتن لا اسم له . ويقول لنفسه اذا ارادت أن تتخذ منى أسيرا فعلى الدنيا السلام . انت الجحيم اذا سيطرت . وعن مآسى السيطرة تستطيع أن تحكى عشرات القصص . ولكن الحيلة من غيرها لا طعم لها ، فثيان ، وفتور كالرماد ، ودون ذلك الجنون والدم . وكم كانت بسيطة عند ساحل الصيادين وأن لم تخل من مشاكسة . كموهبة كامنة لم تنضج بعد . ها أنت تسلكها فى ذكريات الأنفوشى بعناد لا مبرر له . وتلك حقيقة ضاعت كموجة فى بحر . وهى ليست الحب وحده ولكنها نسيان سحرى لعذاب البحث العقيم عن الأب ويأسه ، وهرب من دوامة القلق التى تخلقها الهام ، وهى فى ذات الوقت لا تخلو من مزية أو اكثر اختصت بها الهام أو الأب . وقال لها وهو يتعذب من تغيرها :

ـ لست كعادتك .

فسألته بسذاجة :

ـ هل تجدنى أحيانا مختلفة ؟

أماكرة هى أم ذاهلة !. انسيت لحن الأعتراف المعربد بالجنون؟.

وأمك تكشفت لك مرة عن وجهين . حين طمع صديق فى زيارتها بمسكن النبى دانيال . طردته من شراعة الباب بقسوة وحشية . ثم خلت الى نفسها وهى تسب وتلعن . ثم اغمضت عينيها اعياء وتهاوت بلا حول وأجهشت فى البكاء .

وقال بلا اكتراث فى الظاهر :

ــ حسبتك متوعكة .

فقالت ببساطة ولكن خيل اليه انها تتحداه :

ــ انى على خير حال .

ــ يسرنى أن أسمع ذلك .

فداعبت خده براحتها قائلة فى هدوء :

ــ الا ترى أنك أعز عندى من الحياة نفسها ؟

انت لا تتعامل بالألفاظ . وجميع ما يحيط بك ينذرك بالمتاعب. ولن يكون هذا بلا ثمن . قال بمكر :

ــ وانت عندى كذلك واكثر ، ولذلك فكلما اقترب الرحيل حزنت بلا حدود !

ــ انت تتكلم عن الرحيل ؟

ــ السكوت لن يبعده .

ــ سنبعده بقدر ما نستطيع ولكن حيلتنا محدودة فغريزة النقود هى الغريزة الوحيدة التى حافظت على قوتها عند الرجل !

ــ وفضلا عن ذلك فليس هو بالحل .

ــ هو جرعة اسعاف عند الضرورة .

ــ والرجل يقظ فى هذا الجانب ؟

ــ جدا ، ولا تهمه النقود بقدر ما يهمه كيف انفقها .

ــ غيور ؟

ــ فوق ما تتصور ، وبيننا اتفاق يجب ان احترمه والا ضاع كل شىء ، ولكن ماذا تفعل انت ؟ ، الا عمل لك الا انتظار مكالمة تليفونية ؟

ــ لو جاءت لاختفت متاعب الحياة .

ــ كان أبى شيئا على هامش الحياة .

ــ وليس كذلك أبى .

ــ كيف فقدته ؟



فداعبت خده براحتها قائلة فى هدوء : ألا ترى
انك اعـــز عندى من الحياة نفســـها ؟ . .

ــ تاريخ قديم سأحدثك عنه فى ظرف آخر .

ــ ولم لا يريد أن يتصل بك ؟

آه هذا هو العذاب الغامض المليء باحتمالات لا حصر لها .

وعادت تسأله :

ــ خبرنى عن حالك اذا لم يظهر الرجل ؟

ــ تصورى حال رجل بلا مال ولا أهل ولا عمل !

ــ وكيف عشت فيما مضى ؟

ــ ملكت الألوف ولكن لم يبق الا عشرات .

ــ ماذا كنت تعمل ؟

ــ لا شيء .

ــ لم لا تبحث عن عمل ؟

ــ لا قيمة لأى عمل يجيء عن غير طريق أبى .

ــ لا أفهم .

ــ ولكن صدقيني .

ــ أشتغل بتجارة .

ــ لا رأسمال ولا خبرة .

ــ وظيفة ؟

ــ لا مؤهل ولا واسطة .

ثم بعد هنيهة صمت :

ــ الواقع اننى لا أصلح لشيء .

فتخللت غابة صدره بأصابعها وهى تهمس :

ــ الا الحب ..

فابتسم فى الظلام ثم سأل :

ــ ترى كيف تمضى بنا الحياة ؟

ــ الأمور معقدة وزوجى غير مأمون الجانب .

ــ كم أنه طاعن فى السن !

ــ هو كذلك ، واضيف انه من صلب معمرين عاشوا حتى قيل ان الموت نسيهم !

ــ وعمره على اى حال اطول من عمـــر البقية الباقية من نقودى .

ــ وقد يشم رائحة غريبة فى الهواء فلا نلتقى بعد ذلك !

فشد على راحتها فوق صدره وقال :

ــ عند اليأس نهرب .

ــ مستعدة لذلك ولكن ماذا نصنع بعد الهرب ؟

فقال بحدة :

ــ حتى حبنا لا قيمة له بدون أبى !

ــ فكر ولا تحلم .

ــ أيعنى هذا انه يجب ان ننتظر ؟

ــ وكم نتحمل الانتظار ؟ . . وماذا بعد الانتظار ؟

ــ الموت !

ــ ربما سبقناه اليه ، يخيل الى أحيانا انه سيدفننى ، لا مرض به البتة وبى انا مرض فى الكبد واللوزتين .

ــ شىء مضحك !

ــ هو فى الواقع مُبك ، وعند اول بادرة شـــك سأمتنع عن الزيارة .

ــ عند ذاك أجن .

ــ واجن أنا أيضا ولكن ما الفائدة ؟ .

ــ الانتظار غير مجد ، والهرب عقيم ، والتليفـــون حلم ، ما العمل ؟ .

ــ أجل ما العمل ؟ .

ــ أظن الهرب انسب الحلول .

ــ أبدا .

ــ اذن فهو الانتظار .

ـــ ولا الانتظار .
ـــ اذن ما العمل ؟
ـــ آه ، ما دمنا عاجزين فلنقطع ما بيننا .
سد فاها براحته لحظة وهو يقول :
ـــ اهون من ذلك الموت .
فتنهدت قائلة :
ـــ الموت .
ثم وهى تناجى نفسها :
ـــ أجل ، الموت . .
هزت نبرتها أعماقه فأرهف حواسه وقلبه يخفق . وطال صمت لدرجة أرهقته فقال :
ـــ ماذا أسكتك ؟
ـــ تعبت ، لا تسألنى عن شيء .
ـــ ولكن مشكلتنا ما زالت عند نقطة البدء .
ـــ دعها حيث هى .
ـــ ولكن يوجد بلا شك حل .
ـــ ماهو ؟
ـــ انى اسأل .
ـــ وانا اسأل .
ـــ لكننى توقعت فى لحظة أن تقولى شيئا هاما . .
ـــ لا رأى عندى ، ولكنه حلم ، كالتليفون ، ان ارث سريعا الفندق والمال المودع باسمى ، وأن نعيش معا الى الأبد .
ـــ آه . .
ـــ عيبنا اننا عند العجز نحلم .
ـــ ولكن الحلم قد يتحقق فجأة .
ـــ كيف ؟
ـــ يتحقق وحده !

ـ صوتك ضعيف يقطع بأنك لا تصدق نفسك .

ـ نعم ، واذن ؟

ـ واذن سيطلع الفجر ونحن لا ندرى ، وقد قلنا ما يمكن أن يقال .

ارتدت ثيابها فى الظلام وهو يتطلع الى شبحها المتحرك . وتبادلا قبلة وراء الباب ثم ذهبت .

اندس تحت الغطاء فغشيته كآبة مقبضة . الظلام لون الموت . وظلمة القبر تشهد الآن صورة لأمك لم يشهدها أحد . وعندما نطق القاضى بالحكم وددت أن تخنقه . وفى السجن قالت لك «أنا عارفة الوغد الذى وشى بى ، سأقتله » . كنت جميلة وقوية . وما اعترى صحتك فى السجن لا ينسى . وحبك لى لا ينسى كذلك . أما صورتك الآن فلا يمكن تخيلها . كم من هموم تتلاشى لو اعترفت لالهام بكل شىء . هى تعطيك كل شىء صادق وانت لم تعطها الا حزمة من الاكاذيب . ابى .. لم تصر على الاختفاء ؟ . قال « أمك تظن أنها قتلتنى وفى الحقيقة أنا الذى قتلتها » . اذن فأنت مختف لأنك قاتل « ولكننى سأعرف كيف اهتدى اليك » . والهام أنت تغتصبها وهى تقاوم بشدة . وتصيح وهى تدارى ثوبها الممزق « سأقتلك » . سأقتلك أنا لأخفى جريمتى . وارتفع صوت المؤذن عند الفجر فهاله أنه لم ينم دقيقة واحدة ولكنه تذكر الاغتصاب والقتل فهدأت نفسه قليلا وأدرك أن النوم سرقه وهو لا يدرى بعض الوقت . ولعله حلم بالسهاد فيما حلم . واستيقظ مرة أخرى فى السابعة وفتح النافذة فرأى الضباب يزفر على الآفاق ، والسماء طبقات من الألوان القاتمة . وترامى اليه صوت الشحاذ :

طه زينة مديحى     صاحب الوجه المليح

وما كاد يبلغ باب الاستراحة حتى رأى عم خليل نازلا متكئا على ذراع على سريقوس ، متلفعا بالعباءة . جلس ينظر اليه من

بعيد ، الى يده المعروقة المرتعشة ، والكوفية السوداء التى اخفت عنقه النحيل . خير ما تفعل يا عم خليل هو أن تموت . أنا أعرف عنك اكثر مما تتصور . انت لا تنام الا بالمنوم وبعد أن تدلكك كريمة طويلا . وسعادتك تمارسها فى الحنان العقيم . ولذتك الوهمية عندما تجردها من ثيابها فتذهب امامك وتجىء ثم تحبها براحتيك . يستوى لدى أن يجىء أبى أو أن تذهب انت . مرة أوشك ان يقتل فى الكنار الليلى . فى طرقة المرحاض اعترضه ضابط بحرى وقال له : « اترك علية فنار والا . . » . واشتبكا فى صراع مخيف . تلقى منه ضربات وكيل له ضربات وحشية . ولم يكف حتى حين استلقى غريمه بلا حراك . لم تعد مجرد خطة للتغلب على الخصم ولكن اندفاعا جنونيا للقضاء عليه . لولا أن رمى النادل بنفسه على صائحا « هل تحب المشنقة » ؟ . وعند الفجر قالت أمه « يا حسرتى لما أسمع أننى كنت سأفقدك ! » . وقالت « اذا ضايقك وغد فخبرنى وانا قادرة على أرساله الى القبر » . كما فعلت مع منافسة لها فقتلها رجل من أعوانها ثم فر الى ليبيا . وقالت الاسكندرية أن بسيمة عمران هى الفاعلة الأصلية . ولكن أين الدليل ؟ . أما أنت يا عم خليل فلن تتغير تغيرا يذكر بعد الموت .

# ٨

قال صابر يخاطب الأستاذ احسان الطنطاوى

ـــ اظن ان الاستمرار فى الاعلان عبث ؟

فأجاب الرجل بتسليم :

ـــ اظن ذلك .

ـــ لا شك أنه اطلع على الاعلان ، هو أو أحد من ذويه .

ـــ هذا هو اعتقادى .

وتدخلت الهام فى الحديث قائلة :

ـــ اذن فهو يرفض العودة .

فقال صابر :

ـــ أو لعله يقيم فى جهة نائية ، أو خارج القطر .

ـــ على أى حال فالاستمرار فى الاعلان كما قلت عبث ؟

ثم وهى تزداد حماسا لفكرتها :

ـــ كل شيء يتوقف عليه وحده ، والزمن هو الذى يعالج مشكلة من هذا النوع ، وسوف يعود اليكم عندما يريد ذلك ، كما نقرأ أحيانا عن عودة الغائبين .

انها لا تدرى أنه هو المحتاج الى الغائب وليس العكس . وأنه لا يحتاج اليه حبا فى الحرية والكرامة والسلام فحسب وانما خوفا من التردى فى الجريمة . انها لا تدرى شيئا عن الجريمة التى تتعقبه . ولا المأزق الذى سيجد نفسه فيه عندما تنفد نقوده فى القريب . ولم يعد فى الطاقة الاستعانة بالمحامين ومشايخ الحارات وغير هؤلاء من المرشدين . وانه يفكر كثيراً فى نفض يده من الأمر ولكن لا يهون عليه الكف النهائى عن البحث . وإذا قرر يوما الكف عن البحث فسوف يندفع فى طريق آخر كثور أعمى . قال :

ــ فلتجدد الاعلان للمرة الأخيرة .

وانتظر فى قتركوان . لا يكاد يمر يوم دون لقاء . صار اللقاء عادة جميلة للطرفين . اجل فى النصف الثانى من الليل ينسى كل شيء ولكن ما ان ينبلج الصبح حتى تنزع نفسه شوقا وحنانا الى الهام . وفى محضرها ترتفع به مشاعره الى آفاق من السعادة والأنس والصفاء ولكن رغبته الغشوم فى كريمة لا تموت ، تغفو الى حين ولكن لاتموت . جاذبية الهام لاتخمد ولكن سيطرة الأخرى لا مهرب منها كالقضاء . ولشدة وطاة هذه السيطرة يمقتها أحيانا بقدر ما يعشقها ، وكم نادى باطنه الهام لكى تنقذه ولكنه نداء اليأس . وشد ما يهرب من هذا السؤال المزعج « من تختار اذا خيرت » ولكنه يدأب على جسه كدمل كامن . احيانا يمقت الليل وهو ينتظر كالأسير . والهام سماء صافية يجرى تحتها الأمان وكريمة سماء ملبدة بالغيوم تنذر بالرعد والبرق والمطر ولكنها ايضا سماء الاسكندرية المحبوبة . وكان يحتسى الشراب على صوت الرعد بالنبى دنيال ويدفىء قلبه بالقبل . وهى تأبى أن تعترف بأنها فتاة عطفة القرشى ، لماذا تخفين الأسرار ؟ لأنك العذاب والشيطنة . وقد التحمت فى خياله بهدير البحر ورائحة الماء المالح واليود وحنين الوطن ومغامرات الليالى المفعمة بالشهوات والمعارك البهيمية . وهى مثله تغلى فى شرايينها دواعى الفطرة والغريزة والعمى والقحة لا كالهام نسمة تستقر فى ذروة لا يرقى اليها احد . ونظر الى عينيها ترنوان اليه وهى تتخذ مجلسها قبالته . وأبدت ملاحظة عن انشغاله فقال :

ــ عندما أستنفد وسائل البحث فلن اجد عذرا للبقاء فى القاهرة .

فأسبلت جفنيها وهى تسأله :

ــ أقررت متى تسافر ؟

ــ لا اتصور أى حياة خارج القاهرة !

فقالت بصراحة فاتنة :

ـ كلام جميل أرجو أن تحققه !

ـ هذا ما أفكر فيه بلا انقطاع .

ـ وأهلك وعملك ؟

ـ لكل مشكلة حل ، يخيل الى . .

ثم واصل حديثه بعد انقطاعة قصيرة :

ـ يخيل الى اننى لم اجىء الى القاهرة للبحث عن سيد سيد الرحيمى ولكن لكى أجدك انت ، احيانا نجرى وراء غاية معينة ثم نعثر فى الطريق على شىء ما نلبث أن نؤمن بأنه الغاية الحقيقية !

فقالت بصراحة أفتن من الأولى ولكن بوجه مورد :

ـ من ناحيتى فأنا مدينة لسيد سيد الرحيمى !

قال بنشوة عجيبة :

ـ ما أجملك ! ، ما أجمل الحب ، هو الحب الذى يشدنى اليك يوما بعد يوم ، وهو الذى يكمن وراء كل كلمة من كلماتى اليك مهما يكن موضوعها الظاهرى ، واسمه لم يجر على لسان قبل الساعة ، ولكن لولاه ما كان ثمة مبرر أو معنى لأى كلمة قلتها . .

فغمغمت شفتاها بكلمات لم تسمع ، فتساءل :

ـ أليس كذلك ؟

فقالت مستردة شجاعتها :

ـ بلى ، وأكثر . .

وانتشى لحد الطرب . وأعرب عن نشوته بضغطة رقيقة من راحته فوق ظهر كفها . ثم تذكر أنه سيلقى كريمة بين ذراعيه بعد ساعات فساوره القلق ، وخاف العينين الزرقاوين السعيدتين، ثم تراءت له أخيلة مظلمة نفثت فى أعصابه بهيمية خفية . آه . . كثيرا ما عشق أكثر من امرأة فى وقت واحد بلا عذاب ولا قلق . ولكنه مع الهام تعذبه كريمة ومع كريمة تعذبه الهام ، والتوحيد بينهما أمنية لا يجرؤ على تمنيها .

وسألها هاربا من أفكاره :

ـ خبرينى ألم تعرفى الحب من قبل ؟

فقالت بلا تردد وهى تبتسم :

ـ لا ، لا أظن ، عواطف الصبا وهمية ، وأين هى ؟ ، لا أثر هناك لها ، وهى كانت موجهة الى ممثل كبير قد مات من زمن ، لا ، لم احب قبل هذه المرة ، ولكنى خطبت مرة وفسخت الخطبة عندما طالبنى بالاستقالة من وظيفتى ، وبعض الزملاء فى الجريدة يكلموننى عن الحب بأسلوب الصفحة الأخيرة من الجريدة ، كل ذلك لهو لطيف بلا غاية ، سأحدثك عن ذلك كله فيما بعد ، على شرط الا تسافر ، أو على الأقل الا تنسى القاهرة . .

ـ قد أسافر الى آخر الدنيا ولكنى لن انسى القاهرة !

ـ حسن أن أسمع ذلك ، ولكن ما شأنك أنت مع الحب ؟

ـ ما عرفته ينبغى أن يكون له اسم آخر .

ـ اذن فلنمر عليه بسلام ، وأنا أفهم الحياة بدرجة لا بأس بها ، وعندما أنظر فى وجهك لا اشك فى أننى أرى وجه رجل صالح . .

سيطر بسرعة على دهشته ثم تساءل باهتمام :

ـ ماذا تعنين ؟

ـ لا أدرى ، أنت . . ، أنت . . ، أعفنى من التعاريف ، شىء يشع من عينيك اقنعنى . . ، هو المسئول . . ، هو المسئول عن عواطفى الصادقة ، الأفضل أن تتكلم انت !

العينان الصافيتان لا تريان . أيدل وجهه حقا على أنه رجل صالح ؟ . وأين ذهبت عربدة الحياة والدعارة والبهيمية ؟ . وأمه واساطيرها ونزوات الليالى المرعبة ؟. يجب أن يجىء الأب لينتشله من مأزقه ويطرد الأكاذيب . قال :

ـ لا أود أن أمدح نفسى ولكن حبى دليل على انى انسان خير مما كنت أظن !

ــ أكثر من ذاك ، انظر كيف تشقى بالبحث عن أخيك ، أعرفته يوما ما ؟ .

ــ كلا .

ــ ومع ذلك فأنت تجد وراءه كما لو كنت عاشرته العمر كله ، اليس ذلك نبلا ؟

لعنـــة الله على الكذب . لذلك يفقد حديث الهام معناه كأنه الصمت .

ــ ما هى الا مهمة كلفت بها . .

ــ ولو ! ، ثم ان تحقيقها ليس فى صالحك من الناحية المادية فلا تنكر نبلك ! .

كريمة مثله تمرغت فى التراب طويلا وهما يتفاهمان حتى على البعد . وفى أعمق لحظات الحب الحارة تتمالك أنفاسها لتهمس فى أذنه « متى تختفى العقبة التى تهدد حبنا » ,فيمسه رعب الوعى كصفعة مباغتة وتهمس تضاعيف الظلام بالجريمة . أما الهام فلا تقرأ فى وجهه سطرا واحدا من الجريمة . ولا يجرى لها فى بال أنه قد يقتل للاستئثار بامراة أخـــرى . وأنه بات يشـــم رائحة دم مسفوك . وأنه لا معنى لتشبث عم خليل بالحياة الا أن يدفعه الى مصير محتوم . ولأنك يا الهام لم تنقذينى من الهاوية أحببت وانت لا تدرين مجرما . واذا مضيت فى الكذب عليـــك فسوف أجن . ولِمَ تضعف أنت أمام الحقيقة بالرغم من انك قاتلت حتى اوشكت أن تقتل ، وانك تفـــكر طويلا فى القتل ؟ . قل انا فقير معـــدم ، والرحيمى ابى لا اخى ، وانه ان لم يعترف بى فلن أساوى حفنة من تراب ، وماضى غارق فى الدعارة والفضيحة . آه . . ستصرخ من الفزع . وينطفىء شعاع عينيك الذى يلهم الحب . ثم ترى هى الوجه الصالح على حقيقته . لو أنشأتك امك نشأة مناسبة لكنت اليوم فؤادا سعيدا . لكنها صانتك فى النبى دنيال لتتعذب ابد الدهر . ثم أحيت أباك لتحرمك نعمة اليأس .

ــ ماما لها رأى ، هي تعرف عنك الكثير ، وقالت لم لا ينشيء عملا فى القاهرة ؟

ماما ! . انه يخاف الأمهات . كأمه تستطيع أن ترى حقيقته بنظرة واحدة . لن يعميها الاشعاع المزعوم الذى يشع من عينيه .

ــ اى عمل ؟

بعد تردد :

ــ هذا يتوقف على استعدادك ؟

قل لها انك تتقن السكر والرقص والعراك والحب .

ــ ادارة الأملاك هى خبرتى الوحيدة !

ــ لا مؤاخذة ، ليس عندى فكرة عن دراستك ؟

تذكر المدارس الوطنية والأجنبية التى عبرها عبور المتفرج .

ــ والدى لم يتركنى اكمل اى نوع من التعليم لحاجته الى وبخاصة عقب مرضه !

ــ فكر فى مشروع تجارى ، وانا اعرف من الزملاء اناسا متنوعى الخبرة .

ــ حسن ، سأفكر فى ذلك ولكن بعد مشاورة أبى !

وقال لها وهو يودعها :

ــ من المؤسف أن هذا المكان لا يسمح لى بأن أقبلك .

العقل ينصحه بأن يهجر الهام ولكنه لا يستطيع . هى كأبيه فيما تعده به وفى أنها حلم عسير التحقيق ، اما كريمة فامتداد حى لأمه فيما تهبه من متعة وجريمة . ارجع الى الاسكندرية واعمل قوادا لأعدائك . اقتل واغنم كريمة ومالها . استخرج الرحيمى من الظلمات وتزوج الهام . آه .. وشتاء القاهرة قاس ولا يضمر المفاجآت ولا يعزف موسيقى السماء . وما أزحم شوارعها ومحالها فهى سوق تتلاصق فيه الأجساد والسيارات . واكثر من امرأة تجد فيك ما تبحث عنه بنظرة واحدة على حين تشقى أنت عبثا فى البحث عن الرحيمى . لعله هلفوت ضحك على

أمك فأوهمها بأنه من الوجهاء . وكثيرا ما يجد لمحة من صورة أبيه المتخيلة فى هذا الرجل أو ذاك بين مئات الوجوه المتتـابعة . انه يرفضه أو لعله يخافه أو لعله ميت . وفى الشتاء سرعان ما تجنح الشمس للمغيب وترتفع أمواج الظلام . ولدى رؤيته عم محمـد الساوى سأله عمن يعرف من رجال الله القارئين للغيب فدله على رجل بالدرب الأحمر يدعى الشيخة زهرة ولما بلغ مسكنه وجده مغلقا مختوما بالشمع الأحمر وقيل له ان البوليس قبض عليـه بتهمة الدجل . وتساءل صابر متى كان الدجل تهمة ؟ . وعندما رأى الفندق وهو راجع اليه أثار فيه شعورا برتابة البيت وكآبة السجن . وجلس فى الاستراحة وهى آهلة تضج بالأصـوات وتختنق بالدخان . ومن عجب أن الأحاديث هنا لا تكاد تتغير رغم أن الوجوه تتغير كل يوم . وسمع رجل وهو يتساءل :

- الا يعنى هذا فناء العالم ؟

فقال بلا وعى :

- فى ألف داهية !

وتعالت ضحكات فأيقظته . وسأله سائل :

- حضرتك مع الشرق أم الغرب ؟

فقال وهو آسف على تورطه فى حديث لا يهمه

- لا هذا ولا ذاك !

ثم تذكر جملة متاعبه فقال بتأفف :

- انا مع الحرب ! . .

## ٩

فى تلك الليلة لم تأت كريمة فى ميعادها . انتظر فى الظلام عامر الرأس بخيالات الشراب . ومن الفراغ جسد صـورا يصبر بها شهوته . ومرت ساعة كاملة بعد منتصف الليل ولم تأت . هو لا يدرى شيئا عما يحدث فوق السطح ولكن كريمة لم تتخلف ليلة واحدة مذ طرقت بابه لأول مرة . وتقدم الوقت سـاعة أخرى ساحقا اعصابه فيئس من ليلته وايقن أن مجيئها بعد ذلك سيكون عبثا . وجعل ينظر صوب الباب مرهف السمع ولكن اليأس كثف الظلمة . وظل مسهدا حتى انطلق صوت المؤذن فقال انه ينادى بفناء هذه الليلة . واستيقظ حوالى العاشرة فسخر من نفسه قائلا : « ليكن حساب عسير » ونزل الى الاستراحة فتناول فطورا خفيفا وراح يراقب من بعيـد علاقة المودة التى تؤاخى بين عم خليل ومساعده الساوى . وتساءل متى ينزل فيجد مكان عم خليل خاليا ؟ . وكيف يسأل كريمة عن أسباب تخلفها ؟ . وفجأة قامت معركة كلامية بين اثنين من النزلاء لم يدرك سببها ولكنه تابع باهتمام حركات أيديهما العصبية وكلماتهما الحادة وتهديداتهما التى لم يتحقق منها شىء ، ثم شعر بضجر غير محتمل .

وقرأ فى وجه الهام ــ فى أثناء تناول الغداء ــ اهتماما أضفى على فتنته جـدية ملحوظة . انجابت عنه هموم كثيرة وعاوده شىء من المرح فقال :

ــ أعترف لك بأننى لا أجد لحياتى معنى الا عند اللقاء .

فحدجته بنظرة ارادية وقالت :

ــ الحق أنى لا انقطع عن التفكير فى حياتنا .

عاتبها فى باطنه على توانيها فى امتلاكه والسيطرة عليه ، وعلى

هزائمهـا غير العادلة أمام عدوتها الطاغية . أنت مسـئولة عما سيقع . قال :

ـ يسعدنى أن أسمع ذلك ، وأنا بدورى لا أنقطع عن التفكير !

ـ هات ما عندك ؟

قال وهو يلعن نفسه وأكاذيبها :

ـ افكر فى أمرين : العمل والزواج !

ـ هل اقتنعت نهائيا باقتراحى ؟

ـ أجل ، ولكن على ان أتم مهمتى على اى وجه أولا ثم أسافر للاتفاق مع أبى . .

كره نفسه لحد الموت . وتمنى أن يمحق اكاذيبه دفعة واحدة وليكن ما يكون . وقال انه لم يعرف هذا النوع من الألم المحير قبل ذلك . وبدافع كالاستغاثة قال :

ـ لنذهب الى سينما هذا المساء .

فى ظلمة السينما أخذ راحتها فى يده . الظلمة دائما . ورفع يدها الى فمه فلثمها فى سعادة عجيبة . وتشمم منها عبيرا طيبا فى سرحة طائرة . وقال انه يستريح من الاحتراق والجريمة أما العذاب الذى يخشى ان يعذبه فى النصف الثانى من الليل فيطرده عن باله . وهمست الهام متسائلة :

ـ أليس هذا ظلما بيننا ؟

ولم يكن يتابع الفيلم بحال فهمس مداعبا :

ـ افتراقنا ساعة واحدة ظلم أفظع !

وتركز فى الشاشة لأول مرة فرأى رجلا يضطهد فتاة وسمع حوارا عنيفا، ولأنه لم يتابع القصة من أولها بدا له المنظر حركات وكلمات لا معنى لها . كما نشاهد أجزاء من حياة الناس منقطعة عن ملابساتها فنمر بها دون اكتراث وأحيانا ضاحكين مما يستحق الرثاء . وكم يبدو بحثك عن أبيك من خلال الاعلان مضحكا ومغريا بالمزاح . وهل تجىء كريمة الليلة فى ميعادها ؟ . او يتعذب حتى

الفجر ؟ . وكيف تنجلى هذه المتاعب كلها فى البحث والحب ؟ .
ولحظ الهام فى لحظات المناظر الشديدة الاضاءة فرأى استغراقها فأحنقه ذلك وأوقف مداعباته لراحتها ، وأراد أن يسحب يده ولكنها شـــدت على أصابعه فشد على راحتهـــا ممتنا . وغادرا السينما ليتلقيا ليلة باردة تحت سماء صافية تومض بها آلاف النجوم فأوصلها الى محطة الباص ومضى الى بقالة الحرية بكلوت بك فأكل بسطرمة وسردين وشرب نصف كونياك . ورجع الى حجرته عند منتصف الليل فلبث فى الظلام ينتظر . ولم يعد الغيب بأى أمل ، واشتد الصمت خارج الحجرة كالصمم .

وتتابعت الدقائق فى عذاب وحنق . لا . . لم يعرف هذا الذل من قبـــل . ذل الرغبة الجائعـــة . . ذل البحث الخائب . . ذل الخوف من الذل . ولحقت الليلة بسابقتها مسهدة ملعونة مصدعة . ورسم أن يوجد بالفندق فى عصر اليوم التالى فشهد نزول كريمة الى مجلســـها بجانب زوجها كما رآها اول مرة . تفشى عـــذاب الرغبة فى كيانه فهاله أن تستأسره المراة لهذا الحد . وتجنبت أن تنظر ناحيته وهو فى ركن الاستراحة يتصيد . لا تعرف جنونى فهى لاتخشى عواقبه . ولما قامت لتصعد الى شقتها التقت عيناهما لحظة عند استدارتها فرمته بنظرة محذرة ثم ذهبت . ما معنى هذا التحذير ؟ ! . العجوز لم تتغير معاملته لها وهو فى سن لا يملك معها قوة أعصاب لمداراة ما فى نفسه . وفكر أن يلحق بها فى الدور الثانى أو الثالث ولكنه لمس سرعة صعودها كأنما حسبت حساب أفكاره فأعادت التحـــذير بصـــورة اخرى ، الأيام تمر والنقـــود تتناقص وحكاية الأب أمست أسطورة سخيفة لايركن أليها بحال .
ولا غنى له عن هذه المرأة فهى حياته والأمل الباقى له فى الحياة .
وتكرر التسكع بالليل فى كلوت بك والسكر والانتظار فى الظلام ليلة وليلة . وهو راجع عند منتصف الليـــل قال محمـــد الساوى بصوت نعسان :

ـ سأل التليفون عنك عصر اليوم ..

آه .. لم تعد انباء التليفون تهز أعماقه ولكن آه لو يخلف ظنه ويجيئه بالمعجزة فى هـذه اللحظة من اليأس والعـذاب ! . قال الرجل :

ـ صوت امرأة ..

ـ بخصوص الاعلان ؟

ـ كلا ، سألت هل أنت موجود فقلت لهـا انك لم تعد بعد فاغلقت السكة !

الهام ؟ . من شدة تكده لم يقابلها فى اليومين الأخيرين . ولما خلع بدلته واطفأ المصباح سمع نقرة على البـاب ! . وثب وثبـة مجنون وفتح . شد على ساعديها بقوة وهتف بغضب وشى رغم زمجرته بالراحة السعيدة :

ـ أنت ! .

وجذبها صوب الفراش وهو يقول :

ـ انت ! .. الويل لك ..

ـ انت تمزق لحمى !

ـ كما مزقت اعصابى ! .

ـ وماذا تعرف عن عذابى انا ؟ .

أراد ان ينزع عنها الروب ولكنها أمسكت بساعديه :

ـ كلا .. البقـاء مجازفة غير مأمونة .. سـأقول كلمة ثم اذهب ..

ـ ادعى الشيطان ليدافع عنك ! .

ـ أنت سكران ولكن اضبط نفسك ، حركة بسيطة قد تهدم كل ما بنيناه .

أجلسها الى جانبه على حافة السرير وهو يسأل :

ـ ماذا حصل ؟ .

ــ عند رجوعى آخر مرة من عندك اسـتيقظ على غير عادة وسألنى هل كنت طوال الوقت الى جانبه فاعتذرت بالعذر المألوف وخيل الى أن على سريقوس لمحنى ، لست متأكدة ولكنى خفت خوفا شديدا !

ــ لعلها أوهام ! .

ــ لعلها ولعلها ، لا يجوز أن نجازف بكل شيء ، سنخسر الحب والأمل ، كلمة واحدة منه تقضى على بالفقر الأبدى ، لا تنس ذلك.

وتنهدت ثم استطردت :

ــ لذلك امتنعت عن المجيء ، ولم أسـتطع بطبيعة الحال أن أفسر سلوكى ، وقدرت وأنا فى غاية من العذاب حالك وأفكارك ، ولكن الرجل لم يكتب كل شيء باسمى الا بعد أن أخذ على عهـدا بالوفاء ، قال لى أنت يدى وعينى وابنتى وزوجتى ، لا تنغصى على صفو الأيام الباقية ..

ــ اذن ؟

ــ واذن فيجب أن امتنع عن الحضور بتاتا ، هذا هو الأسلم .

ــ هذا جنون !

ــ هذا هو العقل .

ــ كيف أنتظر ، الى متى انتظر ؟

وهى تتنهد :

ــ لا اعرف الجواب كما تعلم .

ــ وسوف تنفد نقودى واضطر الى السفر .

ــ يمكن أن أمدك بالقليل منها لاطالة بقائك اكبر مدة ممكنة .

ــ لن يغير هذا من المصير المحتوم .

ــ أعرف هذا ولكن ما الحيلة ؟ .. أنا معذبة مثلك .

ــ انا أشد ، أنا مهدد بالعذاب والافلاس معا .

ــ وأنا أتعذب لنفسى ولك ، كيف لا تدرك هذا ؟ !

تساءل وكأنما يخاطب نفسه :

ـ متى يموت الرجل ؟

ـ انت تسألنى كأننى مطلعة على الغيب !

ـ وماذا انت اذن ؟

ـ امرأة تعيسة ، اتعس مما تتصور .

ـ قد يسخر من مخاوفنا ويموت فجأة .

ـ هذا محتمل .

ـ رجل طاعن فى السن ولا يمكن أن يعيش الى الأبد .

ـ قد يموت الليلة وقد يموت بعد عشرين عاما فى سن أخت له ماتت منذ عامين !

ـ اللعنة .

ـ لا حيلة لنا ، ويجب أن اذهب الآن .

ـ ولا أراك الا بعد موته ؟

ـ قلت لك لا حيلة لنا .

ـ بل هنالك حيلة .

وصمتا فى الظلام حتى سمعا هسيس الصمت ، واذا به يقول :

ـ انت تذكريننى طيلة الوقت بحديث قديم ، حديث اشارات متقطعة يشهد عليها هذا الظلام ، فلنتكلم بالصراحة هذه المرة ، .. على أن أقتله . ؟! .

قالت بنبرة مضطربة :

ـ انت لا ترتاح الى هذا الحديث ، لذلك نبذته ، لست قاسية ولا متوحشة ، عيبى الوحيد اننى احبك بجنون ، الأفضل أن ننتظر ..

ـ حتى يموت فى سن أخته !

ـ حتى يأمر الله بما يشاء .

وركبه تصميم جنونى فنهض فى الظلام ، يائسا كل اليأس ، ثم جلس مرة أخرى شاعرا بالتهاب رغم برودة الجو . تساءل :

ـ ماذا بعد الجريمة ؟

لم تنبس بكلمة . واحس الظلام دخانا كثيفا :

ـ لا تضيعى الوقت هباء ، ماذا بعد الجريمة ؟

سمع همسا غير مبين كأنما تريد ان تتكلم فتمنعها شرقة .
ثم جاء صوتها كأنما يزحف من جحر :

ـ ننتظر فترة .. ولكن فى أمان .. ويمكن أن نلتقى فى خفاء ..
ثم اكون لك انا والثروة ..

قال وهو يكور يده فى الظلام :

ـ اليأس لا يدع لنا سبيلا ولا وقتا للاختيار .

ـ للأسف .

ـ ولكن ماذا ينبغى ان افعل ؟

قالت بعد صمت أقصر بكثير مما قدر :

ـ ادرس العمارة الملاصقة للفندق .

آه .. هى مبيتة كل شىء . الجريمة جاهزة فى راسها الرشيق .
مغفور لها كل شىء ما دام قد دبر فى سبيل حبه .

ـ شقة مأجورة لخياطين وبياعين بدل نصف عمر ، فهى تخلو
ليلا ، ولا يصعب الدخول اليها أو الخروج منها ..

ـ هذه هى العمارة .

ـ سطحها ملتصق بسطحنا !

ـ يعنى الانتقال سهل .

ـ تجىء الى سطحنا ، يجب أن تنتظره فى الشقة !

ـ اظنه يصعد الى شقته بين الثامنة والتاسعة ؟

ـ وليكن فى اليوم الذى أذهب فيه الى زيارة أمى وهو ميعاد
معروف من كل شهر .

قال بدهشة :

ـ لا اصدق اننى لم أكد أتم شهرا فى الفندق !

ـ ومن السهل بعد ذلك أن تنتقل الى العمارة التى جئت منها .

قال بارتيباب :

ـ كثيرا ما نسمع عن جرائم من هذا النوع عند اكتشافها !

فقالت ببرود :

ـ لأننا لا نسمع الا عن الجرائم التى تكتشف !

جبارة ، كأمك أو أكثر !

ـ أهذا هو كل شيء ؟

ـ كلا ، يجب أن تقع سرقة لتبرر القتل !

ـ وماذا أسرق ؟

ـ دع ذلك لى ، احذر أن تترك اثرا ، ان الكلاب تجرى وراء الأثر !

ـ يبدو أن التنفيذ سيكون فى غاية من الاحكام .

ـ حياتنا حياة واحدة ، فاذا قضى عليك قضى على ، ولا حيلة لنا فى البحث عن طريقة للخلاص من الألم والجنون .

وهز رأسه قائلا فى حيرة :

ـ جنون ، جنون ، هل تصدقين أن شيئا من ذلك سيقع حقا ؟

فقالت ببرود :

ـ ادرس العمارة جيدا ، أمامك أيام ، احـذر أن يراك احد وانت تنتقل من سطح الى سطح ، انت جرىء والا فلا يجوز أن ادعى انى أفهم شيئا فى الدنيا . .

ومضى يفكر . أما هى فقالت :

ـ لنبدأ من الأول من جديد ، خطوة فخطوة حتى لا يفوتنا شيء . . .

# ١٠

تذوق اللبن والبيض والفاكهة وانظر جيدا الى هؤلاء الناس فى الاستراحة فعما قريب ستختلف عنهم جد الاختلاف ، وعندما ياتى الليل ستكتسب صفة دموية غريبة فتنضم الى طائفة المجرمين . ها هو عم خليل أبو النجا ، يستقبل الصباح البارد ، يده لا تكف عن الارتعاش ، ولا يفكر فى الموت . سيقف عمرك عند العاشرة مساء ، أنت لا تعلم ولكننى اعلم ، فلا تشغل بالك بمتاعب الدقيقة التالية ، تقبل نصيحة اخ يائس . ولعلى الآن اشارك الله فى بعض علمه بالغيب ، مذ قبلت أن اكون قاتلا . ورن جرس التليفون فضحك ضحكة سمعها الأقربون من حوله ، أهو سيد سيد الرحيمى يجىء فى اللحظة الحاسمة ليغير المصير المحتوم ؟ . ورفع عم محمد الساوى السماعة ثم قال : « لا . . لا ياحضرة » . لا . . لا . وأنا أقول لا يا سيدى الرحيمى . انت تنكر ابنك وابنك سينكرك ، ليس فى حاجة اليك ، ، سيبحث عن الحرية والكرامة والسلام عند غيرك . ها أنت تتثاءب يا عم خليل فحتام تغالب النوم الأبدى ؟ . لماذا تصر على جرى الى مصير محتوم ؟ . ما معنى ان يتمتع بمالك سالب حياتك ، وأن تسقط أمى بلا عقل ، وأن يصمت أبى بلا رحمة ، وأن تتعلق آمالى بازهاق روح ، خبرنى عن معنى ذلك كله . أسبوع مر ولا فكر الا فى الجريمة ، وكم كانت الأحلام مختلفة عندما تحرك القطار من محطة الاسكندرية . وهؤلاء الرجال ألم يرتكب احدهم جريمة ! . ثرثرة المال والحرب والحظ التى لا تنتهى ، ونبوءات عن جرائم فى باطن الغيب ، وغفلة تامة عن جريمة تدبر تحت أعينهم .

حوالى العاشرة غادر صابر الاستراحة فحيا عم خليل ومضى الى الطريق وهو يقول لنفسه « غادرت الفندق فى العاشرة ولم أرجع اليه قبل الواحدة صباحا » . ألقى نظرة على مدخل العمارة المجاورة ، كأنه سوق لكثرة الداخلين والخارجين ثم قال لنفسه : « السطح خال ، ولا يرى من مكان قريب ، والظلام ينتشر ابتداء من الخامسة مساء » . فكر فى زيارة الهام بالجريدة ولكنه افتقد التركيز الضرورى للزيارة ، وكره محادثتها وهو ينضح بالدم . وماذا يقول لها وهو يهجر طريقها الى الأبد ؟ . ومر امام الجريدة وهو حزين حقا ، وتخيل مجلس الهام ، ونظراتها ، وسؤالها المألوف عن الرحيمى ، ولفتاتها الرقيقة ، وعجزه عن الارتفاع الى مسئولية حبها . وقتل الوقت بالمشى فى الشوارع ، وتناول غداءه فى بقالة الحرية بكلوت بك وشرب كاسين . وقال له البقال :

ـ الجو ردىء .

فقال وهو يغادر المحل :

ـ أنا مجرم من سلالة مجرمين !

ومضى وضحكة الرجل تودعه ، وصمم فجأة على مقابلة الهام فى ڤتركوان ولكنه لم يجدها ، وقيل له انها ذهبت عقب الغداء مباشرة . وافاق من تصميمه المندفع فجفل من فكرة زيارة الجريدة . ولبث فى المحل حتى الخامسة ثم مضى الى شارع الفسقية فوقف تحت البواكى فى شبه ظلمة على الجانب المقابل للعمارة المجاورة للفندق ، وهو يتفحص المكان . وارتفع صوت الشحاذ بالمديح غير بعيد من موقفه فتقزز من المفاجأة ، وانتهز فرصة انشغال البواب بمساومة بائع خس فعبر الطريق الى العمارة ودخل . شق سبيله فى مدخل مزدحم . ورقى فى سلم مزدحم كذلك وصاخب ، بين أبواب مفتوحة على شقق مكتظة بالعمال والزبائن . وقد وقعت عليه أعين كثيرة ولكنها لم تره . وجعل يختلس النظرات الى الوجوه ليرى ان كان ثمة أحد يعرفه

من نزلاء الفندق ، حتى بلغ السطح فى أمان . فى الفضــاء تبدت الظلمة أقل كثافة فرأى السطح مغطى بالنفايات ولكنه خال من الآدميين . اطمأن نوعا ونظر فيما حول سطح العمارة فلم ير مبنى يطل عليه ، ثم استقرت عيناه على سطح الفندق فرأى ـمنتفضاـ كريمة وهى تجمع الغسيل . هى تنتظره بلا شك ، ولعلها رأته وهو يعبر الطريق الى مدخل العمــارة ، ويداها مهتمتان بفك المشابك ولكن وعيها مركز فى طرف عينها المتجسسة . رأته عند مدخل السطح فأشـــارت اليه بالاقتراب فدلف من السور وقد انحصر وعيه فى تصميمه الجرىء كاسحا وساوسه واضطرابه . وظلت مولية ظهرها له كأنها لا تشعر به ، وسألته :

ـ هل رآك أحد يعرفك ؟

ـ كلا . .

ـ على سريقوس تحت ، سأقف عند راس السلم حتى تعبر السور .

وذهبت حاملة الغسيل حتى غيبها جدار الشقة الذى يشطر السطح فنظر حوله بحذر ثم وثب الى السور وهبط فوق سطح الفندق وتقدم فى أثرها ثم وقف امام مدخل الشقة . اطل راسها من وراء باب السطح وهمست :

ـ الباب مفتوح فادفعه وادخل .

اتجه نحو الباب وضغط عليه براحته فانفتح . شهق بعمق ثم زفر ، ودخل الى دهليز غارق فى الظلمة فتسمر وراء الباب . وما لبثت أن لحقت به فأغلقت الباب وأضاءت المصــباح . رآها شاحبة الوجه براقة العينين ، ولا أثر هناك لحيويتها الفاتنة . تعانقا بلا مقدمات وبعصبية وعنف ولكن بلا روح ولا حس ثم انفصلا وهما يتبادلان نظرة ذاهلة . قال :

ـ اى خطأ سيهلكنا .

فقالت بنبرة جافة :

ـ ثبت قلبك ، كل ما حولنا مطمئن ، وسينتهى كل شيء كما رسمنا .

وتقدمته لتريه الشقة الصغيرة ، من الدهليز الى حجرة كبيرة أعدت للنوم ، متصلة بباب مشترك بحجرة أصغر للسفرة والجلوس ، وسوى ذلك لا توجد الا المرافق . ألقى نظرة على أثاث الحجرة الكبيرة فخيل اليه أن للسرير والصوان والكنبة التركية أعينا ترنو اليه ببرود وعدم اكتراث ، وأوشك لحظة أن يفصح عن مشاعره ولكنه خجل من ذلك واكتفى بقوله :

ـ الحجرة كئيبة ..

فأجابته وكانت تفيق رويدا من صدمة اللقاء والتسلل :

ـ ربما ، المهم انك ستنتظر هنا فى حجرة النوم ، ويجب أن تختبىء تحت السرير بمجرد أن تسمع الباب الخارجى وهو يفتح .

ـ الأرض خشب ؟ .

ـ أجل ، ومغطاة بالبساط ، البساط يغطى أرض الحجرة كلها ..

ـ طبعا سيغلق الباب الخارجى ؟

ـ طبعا ، الساوى يوصله عادة وخاصة حال غيابى ، وهو يغلق الباب بنفسه ، وغالبا ما يترك المفتاح فى القفل أو يضعه على الترابيزة ، وستفتحه وتخرج ..

ـ ألا أفاجأ بوجود أحد فوق السطح ؟

ـ كلا ، على سريقوس ينزل بعد توصيل الرجل وهو ينام فى الدور الثالث .

ـ سيسألون كيف دخل الـ ؟ ..

ـ ستكون النوافذ مغلقة ، فاما أنه نسى أن يغلق الباب بعد ذهاب الساوى ، أو أنه فتح لطارق ..

ـ هل يعقل أن يفتح لطارق قبل أن يسأله عن هويته ؟

ـ لعله سمع صوتا يعرفه !

ـ وتتجه الظنون الى من يعرفهم فى الفندق ؟

قالت ببرود :

ـ هذا حسن ، لن يقع برىء ، والمهم أن تنجو أنت ..

ثم أشارت الى حقيبتها وقالت :

ـ تمت السرقة المطلوبة ، بعض حلى وبضعة جنيهات ، وقد فتحت باب الصوان بنصل سكين وبعثرت الملابس ، هل أتيت بالقفاز ؟

ـ نعم .

ـ حسن جدا ، واليك قضيب الحديد ..

أشارت الى القضيب فوق الترابيزة وقالت :

ـ احضرته من الطقيسى وكان رجل كرسى ولادة أثرى فلا تمسه الا بالقفاز ، احذر أن يسقط منك شىء وأنت تحت السرير .

خيل اليه ان وجهها ذبل تماما من شدة اشعاع عينيها . قالت :

ـ يجب أن أذهب .

وتعانقا كما تعانقا أول مرة ثم قال :

ـ ابقى بعض الوقت ..

ـ ولكن حان وقت الذهاب .

ـ الم تنسى قول شىء ؟

ـ ثبت قلبك ، وتصرف بعقل فى كل خطوة تالية ، ور ...

ـ وماذا ؟

حدجته بنظرة غريبة ثم همست :

ـ لا شىء ، ادخل تحت السرير .

وتعانقا للمرة الثالثة ، كأنما تشبث بها . ثم مضت الى الخارج وهى تنادى بأعلى صوتها على سريقوس فسارع بالدخول تحت السرير . وعادت كريمة يتبعها الرجل فأمرته بأن يغلق النوافذ المفتوحة ويتأكد من اغلاق الأخريات . وانتظرت حتى قام

بمهمته واطفأت النور ثم ذهبا معا . خرج صابر من تحت السرير ، ثم وقف بحذر ، فى ظلام حالك . الظلام ضرب من الاختنـاق ، وضياع وعدم . ولبس القفاز بعناية . وجال بيده متحسسا حتى عثر على الترابيزة ثم تناول القضيب وشد عليه بقوة . وارتد الى موقفه الأول ثم جلس على حافة الفراش . اختفت الدنيـا . لا شيء سوى ملمس الفراش ورائحة عطارة وصوت الصمت الآخذ فى الاستفحال . لا مفر فيجب أن تهوى الضربة باحكام . والانتصار بضربة واحدة خير من العناء والصبر ، والانتظار العابث ، والبحث الضائع . وحب الهام سحابة شفافة ولكنها اشق من القتل . ومديح الشحاذ يترامى فهو لم يأو الى جحره بعد . نداء ضائع كالاعلان ، وثروة الأم المصادرة . ومتى تعـانق كريمة بحرارة وأمان ؟. وذوبان الأعصاب فى الظلام محنة ولكن وراءك ارادة من حديد ، وقلب ينطلق الى مراده الجهنمى كالشهاب .

وهذا صوت على سريقوس فوق السطح يغنى :

أيام بنشرب عسـل     وأيام بنشرب خـل

ثم لا شيء الا الظلام وصوت الصمت .

واخيرا سمع المفتاح وهو يدار فى القفـل فهبط الى الأرض وزحف تحت السرير . وسمع وقع اقدام قادمة ، ثم فتح باب الحجرة وسطع النور . انكمش فى اضطراب وتوثب . ورأى فوق الأرض ست أقدام . وارتفع صوت عم خليل قائلا :

ــ اذهب انت يا على ولا تنس أن تحضر السباك .

ذهبت قدمان . وجلس عم خليل على حافة الفراش فاستقرت قدماه على بعد ذراع من عينيه . وقال :

ــ سأقابله غدا ولن اقبل مزيدا من المساومة .

ــ هذا هو الرأى .

ــ رجل دنىء ، رأى الموت أربع مرات بعينيه ولم يتعلم !

ــ ربنا يطول عمرك .

وساد صمت فتساءل محمد الساوى :

ــ هل أفوتك بعافية ؟.

تأوه الرجل قائلا :

ــ كلا ، ظهرى يؤلمنى وعندى صداع .

الى متى يبقيه معه ؟ . هل يبيت معه ليلته ؟! ، سرت فى جسده رجفة من القلق . واذا بالرجل يقيم الصلاة وهو جالس . ثم يسترسل فى صوت مسموع :

استقبلت قبلتك

واترجيت عفوك ورحمتك

يا ارحم الراحمين أدخلنى جنتك

وواصل صلاته حتى السلام ، ثم قال :

ــ ساعدنى فى خلع العباءة والحذاء يا محمد .

وبعد هنيهة قال :

ــ ناولنى زجاجة المنوم من الدرج .

اين هذا الدرج يا ترى ؟. ان كان فى الصوان فقد انكشفت كذبة السرقة المدبرة . وانتظر وكأنه يتوقع انفجار قنبلة وهو يتابع صفيرها . ولكنه سمع الرجل وهو يرشف الماء . ثم شعر به وهو يستلقى فوق الفراش . وسمعه وهو يقول :

ــ لن أستطيع القيام لاغلاق الباب وراءك ، اغلقه من الخارج ، وافتحه فى ميعاد الصباح ، مع السلامة .

حياه الساوى وأطفأ النور ثم أضاء المصباح السهارى وانصرف . سوف يفتح الباب صباحا فيجد صاحبه جثة . كيف دخل القاتل ؟. كيف يذهب عقب الجريمة . النافذة . النافذة المطلة على السطح . كيف يتصورون الجريمة ؟. آه .. العقل مشتت . المهم التنفيذ لا تخمين آراء المحققين . ضربات قلبك تشوش عليك أفكارك . ورغم الدراسة السابقة يجد فى كل لحظة جديد . هل ينام قبل أن تنفجر أعصابك ؟.

وارتفع الشخير . كشخير امك فى الليلة الأخـيرة . والكفن كعود جاف . وبكاء السماء من زجاج الشرفة بالنبى دنيـال . قطب فى تصميم طاردا خواطر الأحزان ثم زحف . زحف حتى خرج جسمه كله . وقف بحذر شديد قابضا على القضيب . راى الرجل مختفيا من الراس الى القدم تحت الغطاء . راى رأسه المغطى بارزا تحت الوسادة . ارتاح جدا لاختفائه وانبعثت فيه جراة جديدة . اقترب من الفراش خطوة رافعـا القضيب الى اقصى ذراعه . واذا بالرجل يزيح طرف الغطاء عن وجهه ويميله الى ناحيته . ارتعد صابر وتسـمر . تسـمر جسمه وذراعه المرفوعة . وفتح الرجل عينيه فالتقيا بعينيه . ولم يبـدر منه ما يدل على إنه رآه أو أنه انذعر . أفاق صابر من الصدمةبجنون. هوى بيده بكل قوة على الراس فوق الطاقية . وتراجع ذاهلا عن تكرار الضربة . ند عن الرجل صوت لم يتبين حقيقته وعبثا حاول فيما بعد تحديده . تأوه .. صرخة .. شخير .. حشرجة ؟ . وانتفض الجسم تحت الغطاء انتفاضة خفيفة فيما راى ثم همد . وبسرعة حول عنه عينيه فاستقرتا على النافذة . لم يفكر ابدا فى التـأكد من موته . اقترب من النـافذة ثم فتحها . ومرق منها معتمدا على ساعديه . ردها وراءه وازدرد ريقا جافا لأول مرة . آه .. هل القضيب ملطخ بالدم ؟. والسطح المجاور خال كما توقع . كم الساعة يا ترى ؟. وعبر السـور . لمـاذا لم يغسل القضيب فى الحمام ؟. هل يتخلص منه هنا ؟. جنون . هل يرميه فى الجهة الخلفية للعمارة ؟. جنون وسخف . وثمة أصوات آدمية آتية من أسـفل السلم . أطل من فوق الدرابزين فرأى الدور الثالث غارقا فى الظلام ، ولكن نورا ينبعث من شقة فى الدور الثانى انعكس على الدرابزين والجدار وراءه . ومسح القضيب بفردة القفاز اليسرى ، ثم قبض عليه بها ، وهبط السلم . مر أمام الشقة المفتوحة لا يلوى على شيء ، ثم غادر الشقة رجلان أو ثلاثة فنزلوا



اقترب من الفراش خطوة رافعا القضيب الى اقصى ذراعه

وراءه فتباطأ حتى أدركوه ثم فاتوه فهبط وراءهم حتى الدهليز ، وغادر العمارة كأنه واحد منهم وقد لمح البواب جالسا فى حجرته الصغيرة وراء الباب . فى الطريق شهق بعمق ثم زفر . هل عرفه احد ؟. هل راى احد القضيب فى يده ؟. هل لوث الدم بدلته ؟. ورأى تاكس عند الطوار المقابل ولكنه خاف أن عبر الطريق مباشرة أن يراه أحد من الفندق ، فتوغل فى الشارع ، ثم عبر من بعيد الى الجانب الآخر فرجع تحت البواكى صوب موقف التاكس. وصادف رجوعه قيام الشحاذ وسيره نحوه متلمسا طريقه بعصاه . اضطر أن يقف على بعد مترين من التاكس حتى يمر الرجل فرآه لأول مرة بوضوح على ضوء مصباح . وشد ما أثار اشمئزازه لحد الغثيان . وجه نحيل ضائع اللون والمعالم فى لحية متلبدة بالقذارة ، وعظام بارزة ووجنتان غائرتان وأنف مجدوع ، ورأس مغطى بطاقية سوداء يحجب مقدمها حاجبيه ، تدمع تحتها عينان دمويتان مشدودتان الى اسفل ، فمن اين جاءه الصوت اللطيف الذى يتغنى بالمديح ؟. كتم انفاسه كيلا يشم رائحته وهو يمضى امامه ، وتقلص وجهه فى تقزز ونفور حتى اختفى عن ناظريه ، ثم اندفع نحو التاكسى آمرا السائق بالذهاب الى ناحية من النيل بها مرسى قوارب . اى انسان يعطف على هذا الشحاذ ! . ولكن هل لمحه أحد وهو يغادر العمارة ؟ . القفاز والقضيب هل رآهما أحد ؟ . وسائق التاكس هل ينقلب شاهد اثبات غدا ؟. التاكس لا يريد أن ينطلق . والسائق يزعجه بتعليقات غير مفهومة .

ـ أليس كذلك ؟

ـ هه !.

ـ وبدل الجنون اقول لنفسى الصبر طيب .

ليس افضل من السكوت الا الجنون . وشاطىء النيل راقد فى ظلام فمن يرى القضيب أو القفاز أو الدم ؟. والتجديف فى هذه الساعة من السنة غريب ولكنه سلوك عادى جدا اذا قيس بغيره .

الآن تتخلص من القضيب والقفاز وتغسل يديك . اغسلهما جيدا في الأمواج الثقيلة النابعة من الليل . وبمجرد التفكير في الراحة زحف الاعياء كالنوم . وترك القارب للتيار . ليس فوق البر من شيء يهم . وثمة لذة غريبة في اغماض العين والاستسلام للتيار . وفي محو الفكر والذاكرة . لكن التقاء العينين تحت المصباح السهاري لا ينسى . والصوت الذي انبعث ما كنهه ؟. وما يسيل من عين الشحاذ دم أم دمع ؟. حتى المطاردة الآن لاتهم . ولكن أين مضى بك التيار ؟.

وفجأة انطبقت السماء على الأرض . وثب من الفزع فتمايل به القارب . وفي اللحظة التالية ادرك أنها صفارة قاطرة بحرية انفجرت بغلظها المحطم لأركان الجو . وتتابعت أمواج قوية فرقص القارب . وتناول المجدافين وجدف بقوة راجعا الى المرسى . ولم ير في السماء نجما واحدا فتذكر الشتاء وسرعان ما سرت في جسده قشعريرة البرد . ومشى في الجزيرة بسرعة وقوة دفعا لبرودة الجو حتى عبر جسر قصر النيل . وعند اشارة المرور لمح سيارة كبيرة واقفة ، ورأى داخلها رجلا جذب انتباهه من النظرة الأولى . كهل فخم ، ولكن هذا الوجه كم أنه محتمل أن . . !. وانفتح الطريق وتحركت السيارة فصاح بأعلى صوته :

ـ سيد الرحيمي !

وجرى وراء السيارة بأقصى سرعته ، ولكن المسافة الفاصلة بينهما اتسعت الى غير نهاية وسرعان ما اختفت السيارة . حتى رقمها لم يره . توقف عن الجري وهو يلهث . هو الرحيمي ! . صاحب الصورة بعد ثلاثين عاما . ولو تقدم خطوات أسرع لأمكنه الوثوب على مؤخرة السيارة . لكنه لم يعترف الرقم ولا الماركة . والحسرة غير مجدية وهي في حالته مضحكة أيضا . وكيف يثق في عينيه وهو لم يشعر بالبرد فوق سطح النيل !. وماذا يعني الرحيمي له بعدما كان ؟. الأمل الوحيد الباقي له هو : كريمة .

هى الآن سهرانة تفكر . وتربطهما حقيقة واحدة رغم البعد . ومع ذلك كم يحن الى لقاء الهام ليعترف لها بكل شيء . وانبأته ساعة الميدان بانتصاف الليل فقرر العودة الى الفندق فى ميعاده المألوف رغم كراهيته للفكرة . ارتعد وهو يمر أمام العمـــارة . وتذكر الشحاذ بصورته البشعة فتساءل عن المأوى الذى يؤويه . ووجد عم محمد الساوى جالسا مكان عم خليل لم يذهب بعد للنوم . وتذكر انه لم يأكل ولم يشرب وانه كان ينبغى ان يشرب قليلا من الكونياك . ورفض فكرة الرجوع خشية الا يحسن تفسيرها غدا !.

وقال له العجوز :

ــ التعب واضح فى وجهك !.

فأجاب بحذر :

ــ الدنيا برد جدا فى الخارج ..

فابتسم الرجل قائلا :

ــ سألت عنك مرة أخرى .

ــ من ؟!.

ــ انت أدرى ؟!.

الهام !.. خرافة كالرحيمى .

ــ ليس وراء بلدكم الا التعب .

ــ الحياة كلها تعب ، ولكن أما من جديد ؟

أدرك أنه يسأل عن الرحيمى فقال وهو يمضى محييا :

ــ سأبحث عنه غدا فى القرافة !.

## ١١

غادر الفراش فى السادسة صباحا . ترى هل ذاقت النوم عيناه ؟. انه لا يذكر من ليله الا السهاد . ولكن مهلا لقد حلم . اجل لا يذكر من الحلم سوى منظر عراك نشب بينه وبين كريمة أمام عم خليل الذى لم يكترث لما يجرى أمامه ، ولكن ذلك دليل كاف على أنه نام ولو بعض الوقت . والجو بارد حقا ولكن فلتكن رجلا الى النهاية والا فما معنى مباهاتك بأنك مجرم من سلالة مجرمين !.

واضاء المصباح فهاله أن يرى فردة القفاز فى يمناه !. حملق فيها بذهول وفزع . اذن رمى بالقضيب والفردة اليسرى ونسى هذه !. عاد بها الى شاطىء النيل ، وسار فى الجزيرة ، وجرى وراء السيارة الكبيرة ، وقطع الشوارع ، ولوح بها للساوى وهو يحدثه . حملق فيها بفزع متزايد . بقعة من الدم انداحت وسط راحتها البنية . ماذا فعلت هذه البقعة !. أى آثار خلفتها وراءك !. وماذا بقى من حسن التدبير ؟. عليك أن تختبر كل شىء . وتفحص الفراش والغطاء والملاءة ، وارض الغرفة ، ثم الحذاء والجورب والبدلة والقميص والمنديل ، كل شىء بعناية ، ولكنه لم يطمئن لشىء ، ودار راسه بالوساوس فعيناه لا تريان شيئا أما اعين شياطين الأمن فلن يخفى عليها شىء . وقرر أن يتخلص من القفاز فمضى به - مع الفوطة والصابونة - الى الحمام ، مخفيا فى جيب البيجاما مقصه الصغير . وراح يقطعه ، ويرمى بكل قطعة على حدة ثم يشد السيفون . وهو يفعل ذلك سقط منه مرة على الأرض ، فالتقطه وواصل عمله ، ثم غسل وجهه وغادر الحمام . وفى الطرقة رأى على سريقوس أمامه فحياه الرجل قائلا :

ــ صباح الخير يا سى صابر ، استيقظت اليوم مبكرا . .

اللعنة !. ماذا جاء بك الى طريقى !. ساكن الحجرة رقم ١٣ استيقظ مبكرا على غير عادته ، هذا هو الشىء الوحيد غير العادى يا حضرة الضابط . اللعنة . بادرة سوء ولا شك . وهل غسل الأرض عند موضع سقوط القفاز ؟. اللعين دخل الحمام !. ولما دخلت الحمام عقب خروجه منه رأيت اثرا يشبه الدم عند البالوعة . ولم يدخل حجرته ولم تفارق عيناه باب الحمام . وفتح الباب وخرج على سريقوس فلما رآه بموقفه سأله :

ــ أى خدمة يا سى صابر ؟

فذهب الى الحمام دون أن يلتفت اليه ، وتفحص موضع سقوط القفاز جيدا ثم غادره ، ولما رأى على سريقوس فى الخارج قال كالمعتذر :

ــ نسيت الصابونة !

فابتسم الرجل قائلا :

ــ كانت بيسراك وأنت ذاهب !

يا للداهية . وتكلف ضحكة قائلا :

ــ هذه عاقبة الاستيقاظ مبكرا قبل أن يشبع الواحد من النوم ، زباط ملعون أيقظنى بعد الفجر وعبثا حاولت النوم من جديد . .

ودخل الحجرة وهو يستأنف ضحكته . بداية سيئة ولكن لا داعى للمبالغة فى الخوف . وأعاد تفحص ملابسه وهو يرتديها . ورفع راسه نحو السقف متخيلا صورة عم خليل فوق فراشه . وقال لنفسه ــ رغم قشعريرة تقلص بها جسده ــ ان حوادث القتل تقع كل يوم وبلا حصر . ومجرد التفكير فى السفر الى الاسكندرية جنون . ولما انتهى من ارتداء بدلته نظر فيما حوله متسائلا ترى هل نسى شيئا ؟. انه غير مطمئن الى بدلته رغم اعادة الفحص وسوف يكتشف الشياطين فى نسيجها ما لا يخطر

ببال . وخطر له أن يرتدى اخرى ويذهب بهذه الى مصبغة لغسلها بالبخار ، ولكن فيم يلفها ؟ ، والا يلفت ذلك بعض الأنظار ؟، الا تصير موضع تحقيق بعد ظهر اليوم ؟. وشعر بضيق ويأس وبخاصة لأنه رسم أن يغادر الفندق قبل اكتشاف الجريمة . ورأى أن ذلك أهم من البدلة نفسها . والقى نظرة أخرى على الحجرة وهو يقول لها « لا تخونينى » ، ثم ذهب . رأى عم محمد الساوى وهو يصلى الصبح فجلس فى الاستراحة ، مع نفر قليل من النزلاء . وتناول فطورا خفيفا ، وفى أثناء ذلك جاءه على سريقوس مسرعا وهو يقول :

ـ نسيت هذه يا سى صابر .

حافظة نقوده !. سقطت بلا شك وهو يتفحص الجاكتة . وراجع محتوياتها ثم قال له :

ـ أشكرك جدا ياعم على ..

ونفحه بعشرة قروش فقال الرجل وهو يمضى عنه :

ـ وجدتها عند رجل السرير .

الأخطاء التى اكتشفت كثيرة حقا فما عدد الأخطاء التى لم تكتشف ؟. والقوة العمياء التى تجردك من ملابسك قطعة وراء قطعة سترمى بك فى النهاية عاريا كما ولدتك أمك . وأمك هى القاتل الحقيقى لعم خليل أبو النجا . وما أشبه شخيرها بشخيره فى الليلة الأخيرة أما الصوت الذى ند عنه عقب الضربة القاتلة فقد مضى وانقضى . وضبط رجلا من الجالسين وهو يدارى ابتسامة ابتسمها لدى ملاحظته فأدرك أن شفتيه تفضحان أفكاره فأربكه الحرج . وكره المكان فغادره . وفى الخارج ترامى اليه الغناء المألوف كل يوم « طه زينة مديحى » فتذكر الصورة البشعة بتقزز ثم قال وهو يتجنب النظر ناحيته « من يدرى لعله سعيد بالغناء » . ويصعد عم محمد الساوى الى السطح ويفتح باب الشقة ثم يطرق حجرة النوم .. عم خليل استيقظت ؟.. استيقظ يا عم خليل

السـاعة تدور فى الثامنة .. يا عم خليل .. يا عم خليل .. ويدفع الباب برفق ويختلس من الداخل نظرة .. عم خليل .. رباه .. يا ألطاف الله .. أغيثونا .. يا على .. يا على .. يا هوه .. عم خليل قتل .. أغيثونا .. بوليس النجدة . قديما اختفت أمى فلم يعثر عليها أبى ، واختفى أبى فلم أعثر عليه . فليكن هذا الاختفاء الموفق نصيبى أيضا ، واذا انجابت الغمة وطواها النسيان فتلق كريمة بين ذراعيك ومعها كل ما تعد به من الحياة السعيدة المطمئنة . سار على غير هدى تقوده الشوارع والمنعطفات . وكلما أجهده السير جلس فى قهوة ليريح قدميه . لم ير شيئا ولم يسمع شيئا . ومرة ارتفع رأسه الى الأفق فوق مبنى القضاء العالى فرأى مظلة كبيرة من السحب ذات أرضية بيضاء صافية تنتشر عليها قطعان من السحائب الداكنة فاستيقظ قائلا : « هذه زفرة من الاسكندرية » وتحرك فى القلب الشجن ، ثم مضى بالعين التى لا ترى والأذن التى لا تسمع . وطيلة الوقت وهو يشعر بحاجة حارة الى لقاء الهام ، فلما فات النهار منتصفه مضى الى فتركوان وهو ينظر الى كل شىء بغرابة . ولدى رؤية الفتاة مقبلة فاضت به رغبة مفاجئة فى الاعتراف . ولما رأته ومضت عيناها ثم صافحته وهى ترميه بنظرة زرقاء عاتبة :

ـ لماذا أصافحك ما دمت تقاطعنى ؟

وتفحصته باهتمام ثم استدركت :

ـ وأيضا لا تتكلم !

ـ استغرقتنى المشاغل وكنت وما زلت فى غاية التعب .

ـ ولا تليفون ؟

ـ ولا تليفون ، فلنؤجل حديث ذلك لأشبع شوقى اليك .

وارتضيا الصمت وهما يتناولان الغداء ولكنه ظل يرنو اليها طيلة الوقت . وردد باطنه « طه زينة مديحى ـ صاحب الوجه المليح » ، وقال ان تصميمه على هذا اللقاء عجيب . وهو يبدو

لا معنى له الا أن يكون ملجأ مؤقتا فى العاصفة . وهى تبتسم رغم انها صافحت يدا ملوثة بالدم . ورهبة الوداع تغرى بالدمع .

- انت متعب حقا .

فقال بفتور :

- أمس رأيته !.

فلمعت عيناها باهتمام شديد مدركة من يعنيه :

- اخوك ؟!

- سيد سيد الرحيمى .

- اذن قد انتهت مهمتك ؟

فقص عليها الحكاية فيما يشبه الضجر فقالت :

- هناك احتمال كبير أن يكون هو .

- وثمة احتمال أن يكون غيره .

فتساءلت برجاء :

- متى نعتبر هذه المسألة منتهية ؟

- انى أعتبرها كذلك .

- لكنك متعب حقا ؟

- مضت الأيام الأخيرة فى مقابلات متواصلة ومشاوير معقدة .

- أناس من طرف والدك ؟

- نعم .

وشربا العصير ، ثم تهيأت لنغمة جديدة مهدت لها بابتسامة حيية ثم تساءلت :

- ولا تجد وقتا للتفكير فى ؟

- بل أفكر فيك طول الوقت .

- ماذا قال لك التفكير ؟

متى تعترف لها بكل شىء وتعفى نفسك من الكذب ؟

- أنت لا تتكلم ، تحدثنا آخر مرة عن عمل جديد فى القاهرة !

آه .. أنت لا تفكر الا فى الاعتراف وعما قليل ستنفجر .



وشربا العصير ، ثم تهيأت لنغمة جديدة مهدت لها بابتسامة حيية

ـ أجل ، لم أنس ذلك لحظة واحدة .
ـ رغم مشاغلك ؟
ـ رغم مشاغلى كلها .
ـ أما أنا فأدرس الموضوع من جميع نواحيه .
انهار آخر حصن للمقاومة فقال :
ـ الهام ، أنا أحبك ، أحبك من كل قلبى ، ولكنى كذبت عليك .
رمقته بدهشة وهى تسأل :
ـ متى وكيف كذبت ؟
ـ كذبت عليك بدافع حبى نفسه .
ـ لا أفهم شيئا .
ـ قلت لك انى أبحث عن أخى والحقيقة انى ابحث عن أبى !
ـ ابوك !
ـ أجل، ، أبى هو الذى ابحث عنه .
ـ وكيف فقدته ؟ . اهى حكاية كحكايتى ؟
ـ كلا ، صدقت طول عمرى أنه ميت ، وفى الساعة الأخيرة من حياة أمى اعترفت لى بأنه حى ، وأن على أن أجده .
وهى تحدق فى وجهه طول الوقت :
ـ على أى حال ليس الأمر بذى بال .
ـ لكننى رجل مفلس لا أملك الا جنيهات ، كانت أمى غنية جدا وكنت أعيش عيشة الوجهاء ، ثم ضاعت ثروة أمى لآخر مليم ، لم تترك لى سوى وثيقة زواجها وصورة ابى لاثبت بها بنوتى أمامه عندما أجده ، وعدا ذلك فاننى لا أصلح لشىء .
اثقل الوجوم عينيها الصافيتين . كيف كانت تكون حالها لو اعترف لها بسيرة أمه وماضيه على حقيقتهما ؟!.
ـ أقرأ الانزعاج فى وجهك !
ـ كلا ، ولكنها المفاجأة .
ـ أنا غير جدير بك ولن اغفر لنفسى خداعك .

تمتمت :

ـ انى أفهم جيدا لماذا كذبت على .

ـ الأفظع من ذلك انّنى جعلتك تحبين شخصا غير جـدير بحبك .

ـ وحبك أهو كاذب ؟

ـ أبدا ، مطلقا ، أحبك من كل قلبى .

وهى تتنهد :

ـ والحب هو الذى ردك الى مصارحتى بالحقيقة ؟

ـ أجل هو ذلك ..

ـ اذن فعذرك واضح !

ـ ولكنه يطالبنى أيضا بالابتعاد عنك .

وهى تزدرد ريقها :

ـ ولكن بالله لماذا ؟

ـ مفلس ولا أهل لى ، ولا أصلح لشىء .

ـ الافلاس لا يهم فهو حال مؤقتة ، والأهل لا يهمون فما حاجتنا اليهم ، ولكنك تصلح لأشياء كثيرة .

ـ اشك فى ذلك ، لا شـهادة لى ولا علم ولا خبرة ولا عمل ، ولذلك فلا أمل لى الا فى العثور على أبى .

ـ وهل يغنى أبوك عن كل شىء ؟

ـ أفهمتنى أمى انه من الوجهاء وممن يشغلون المنـاصب الخطيرة .

فترددت لحظات ثم قالت :

ـ لكن الاعلان .. والاسم .. ودليل التليفون .. اعنى ..

ـ أجل، لا أصدق الآن أنه من أصحاب المناصب فهم معروفون ، ولا من وجهاء القاهرة كذلك ، ولكن ذلك لا ينفي أن يكون من وجهاء هذا الاقليم أو ذاك ..

ـ ثم انك لمحته أمس ؟

ـ ذلك ما خيل الى ، ولكنى لم اعد أثق بشىء .

ـ وحتى متى تنتظر ؟

ـ يجب الا أضيع وقتى فى البحث أو الانتظار .

ـ ثم ؟

ـ لا ادرى ، السبل مسدودة فى وجهى ، ولكن على أن ارجع الى بلدى فأبحث عن أى عمل أو أنتحر .

وهى تعض على شفتيها :

ـ وتقول انك تحبنى !

ـ نعم .. بكل قلبى .

ـ وتفكر فى الذهاب أو الانتحار ؟

ـ السبل مسدودة لحد الاختناق .

ـ لكنك تحبنى ... وأنا ايضا أحبك .

قال بوجه متقلص من الانفعال والحزن :

ـ أنا لا أصلح لشىء فكيف أصلح لك ؟

ـ الصبر ، لن أتخلى عنك .

ـ لكن ما الفائدة ، كنت أحلم بالعثور على أبى ولذلك ادخلتك فى حلمى بلا حساب .

ـ العمل ! ، هو الذى يحل مشكلتنا .

ـ قلت اننى لا أصلح لشىء .

ـ أعطنى فرصة للتفكير وسوف تسير الأمور كما نود .

والجريمة التى ارتكبت ! ، لا يجوز بحال أن تسير الأمور كما نود ، يجب أن يكون وقت ذلك قد فات . كيف لم يأت الاعتراف بالنتيجة المدمرة ! . والضحك من الآن الى نهاية العمر لن يكفى .

ـ لن تسير الأمور كما نود .

فقالت بحزم :

ـ امهلنى يوما أو يومين ، لا تتخذ اى قرار قبل الرجوع الى ، انا اعرف ما أريد . .

قل لها ماذا كانت أمك . قل لها ماذا فعلت امس . قل لها انك تزوجت من أخرى بوثيقة من دم . قل لهـا انك تود أن تصرخ حتى تصدع أركان الأرض .

## ١٢

ها هم عساكر البوليس وها هى اللمة . كما تخيل ذلك تماما طيلة النهار . واذن فقد انتهى الرجل واكتشفت الجريمة والبحث دائر عن المجرم . ولا مفر من التقدم فأسكت هذه الرعدة وتمالك نفسك حتى الموت . ولتنس النظرة الغـائبة التى ألقـاها عليك الرجل ، الى الأبد . ولا تسل عن الصوت الذى ند عنه . والعودة الى الفندق شاقة مرعبة كالاعتراف . حتى الخطة التى نفـذت نوقشـت من جديد كأن لم تنفذ بعد . كان يجب أن تغادر الفندق قبل يوم الجريمة بأسبوع . لم يكن الشيطان نفسه ليفكر فيـك ولكنك لن تجنى من الهلوسة الا الحسرات . ومن يصدق انه حتى فى غمرة هذا الفزع الشامل لا يكف صوت الشحاذ عن المديح ! . وشق طريقه خلال المتطلعين حتى اعترضه عسكرى فقال بدهشة :

ـ ماذا حدث ؟ ، أنا من نزلاء الفندق :

وظهر عم محمد الساوى على عتبة الفندق بوجه شـاحب استقرت فى صفحته صورة دميمة للفزع فأشار اليه قائلا بصوت لا يكاد يسمع :

ـ دعه يدخل .

سأله بلهفة :

ـــ ماذا حدث يا عم محمد ؟

فأجاب الرجل ووجهه يتقلص تقلص البكاء :

ـــ قتل عم خليـــل !

ـــ قتل !

ـــ وجد قتيلا فى فراشه لعنة الله على المجرمين .

رأى فى المدخل عساكر ومخبرين ، وفى مكان عم خليل جلس المحقق والى يمينه ـــ على كرسى كريمة المعتـــاد ـــ رجل آخر . وكان شاغل كرسى عم خليل عاكفا على أوراق بين يديه وقد جلس وراء المكتب من الناحية الأخرى احد النزلاء . وذكّره الجالس مكان عم خليل بصورة أبيه المتخيلة . وأوشك اهتمـــام مفاجىء أن ينتزعه من دوامة الاضطراب التى اجتاحته ولكنه ما لبث أن تبين شباب الرجل النسبى واختلافه عن الصورة عند التحقق فوضح له سخف مخيلته . هل يقف أو يمضى الى حجرته ؟ . وبعد تردد قصير شرع فى السير الى الأمام ولكن الجالس مكان كريمة أوقفه باشارة من يده قائلا :

ـــ انتظر من فضلك فى الاستراحة .

ذهب الى الركن الأيمن حيث جلس بعض النزلاء فجلس معهم وهو يســـأل :

ـــ ماذا حدث ؟

ـــ وجد عم خليل مقتولا .

ـــ ولكن كيف ؟

ـــ من يدرى ! ، وجاء المحققون ، وحجزنا جميعا للتحقيق ، وحصلت المعاينة كما حصل تفتيش شامل .

وارتفع صوت بكاء مكتوم جذب عينيه الى ركن الاستراحة الأيسر فرأى كريمة ! . رآها جالسة بين امرأة عجوز فى السبعين ورجل يكبرها بأعوام . كيف لم ينظر صوبها وهو داخل ؟ . وماذا

يجدر به ان يفعل ؟. وبعد تردد نهض اليها ثم قال بصوت خافت :
- شدى حيلك ، البقية فى حياتك .

لم تنبس بكلمة وظلت مخفية وجهها بين يديها فرجع الى مجلسه وهو يهز رأسه أسفا . ترى هل اخطأ او اصاب بهذه الحركة ؟ . وهل يمكن أن تشبه المراة العجوز ام بنت الأنفوشى ؟ . وماذا يدور فى أذهان المحققين ؟ . هل سألوا عن ساكن الحجرة رقم ١٣ ؟ . هل بدات التحريات عنه ؟ . هل يفهمون المجرمين كما يفهم هو بنات الليل ؟ . وكرههم جميعا لدرجة الموت . ونظر الى الجالسين متسائلاً :

- وبعد ؟
- أنت لم تنتظر الا دقائق ونحن على هذه الحال منذالصباح .
- هل سألوا النزلاء الآخرين ؟
- نعم ، وتركوهم يذهبون ، ولم يأت دورنا بعد ، وسألوا الزوجة وامها وخالها . .
- لكنها لم تكن موجودة فيما علم . .

وندم على تسرعه ، ولكن رجلا قال :

- ولو ! ، وحصلت مفاجآت ففى الحجرة رقم ٦ ضبطت كمية ضخمة من المخدرات فقبض على صاحبها ، وفى الحجرة رقم ٣ عثروا على لص محترف . .
- آه . . لعله . .
- هذا جائز ، كل شيء يتوقف على سبب الجريمة .
- لا شك أنه السرقة . .

وندم على تسرعه مرة أخرى . يحسن به أن يتجنب الأخطاء . هل وجدوا دليلا او شبه دليل فى حجرة عم خليل او فى حجرته ؟. لا يبدو أن احدا منهم يهتم به ، وكم يود أن يخلو ولو دقائق الى كريمة . احذر أن تنظر نحوها . لديها بلا شك ما يستحق أن



وارتفع صـــوت بكاء مكتوم جذب عينيه
الى ركن الاستراحة الأيسر فرأى كريمة ! .

تخبره به . ليس الأمر كما تخيل . أجل ليس الأمر كما تخيل ، اللعنة .. متى يخرس الشحاذ البشع ؟ . فى مثل هذا الوقت من كل شهر اذهب لزيارة أمى . سرقت نقـود وحلى . اغلق على سريقوس النوافذ امام عينى ثم اغلقت الشـقة بنفسى . لا .. لا اعرف له اعداء . لماذا ذكرنى هذا الرجل بصورة ابى ؟ ! .

واذا برجل يقول :

ـ ومع ذلك فنحن ابرياء فكيف يكون اضطراب المذنبين !

ـ واكثر من هذا فمجرد خطأ فى التعبـير قد يجلب متاعب لا حد لها .

ـ ولكن لم يشنق برىء قط .

ـ أوووه . .

ولكن قد ينجو مذنب . أمك والرجل الهـارب الى ليبيا . والعودة الى الفندق محض جنون فخطة اخرى هى ما كان يلزمك . وكالقضاء والقدر اعترضت مسعاك الخائب كريمة . وحاجتك الى أبيك لم تنقض كما توهمت ولكن الخطر يزيدها الحاحا .

واستدعوا تباعا . وأخيرا وجد نفسه جالسا أمام المحقق . كرهه من أعماقه ثم صمم على الانتصار عليه .

ـ صابر سيد سيد الرحيمى .

وقدم بطاقته فتصفحها الرجل بعناية :

ـ نزلت فى هذا الفندق منذ شهر تقريبـا وهو مسجل فى الدفتر .

كلا ، لا يشبه الأب فى شىء وان يكن ذكره به عنـد النظرة الأولى .

ـ استيقظت كالعادة فارتديت ملابسى ونزلت الى الاستراحة ثم تناولت الفطور وذهبت .

ـ ليس كالعادة تماما ، استيقظت مبكرا .

ـ لا استيقظ عادة فى وقت محدد وقد استيقظت مبكراً اكثر من مرة .

ـ قال الخادم انك استيقظت هذا الصباح مبكرا بخلاف عادتك .

ـ لعله لم يرنى فى المرات السابقة .

ـ الم تسمع شيئا غير مالوف فى الليل ؟

ـ كلا ، نمت عقب عودتى فلم أستيقظ الا فى الصبح .

ـ ألم يلفت نظرك شيء عقب استيقاظك ؟

ـ كلا .

ـ متى رأيت الخادم على سريفوس ؟

ـ عند خروجى من الحمام مباشرة .

ـ الم تلاحظ عليه شيئا ؟

ـ كلا ، كان كعادته كل يوم .

ـ وانت ألم يحدث لك ما يستحق الذكر ؟

ـ كلا .

ـ الم تنس حافظة نقودك ؟

ـ بلى ، حدث هذا حقا ، وأتانى بها على سريفوس فى الاستراحة .

ـ وكيف كان وقع ذلك فى نفسك ؟

ـ سررت بطبيعة الحال .

ـ وماذا ايضا ؟

ـ لا شيء . .

ـ الم تدهشك امانته ؟

ـ ربما ، لا أدرى بالضبط ، ولعلى لم افكر فى ذلك .

ـ من الطبيعى جدا ان تفكر فى ذلك .

ـ لعلى دهشت بعض الشيء .

ـ بعض الشيء ؟
ـ أعنى دهشة عادية .
ـ ما رايك فى مدى امانته ؟
ـ لم الاحظ عليه ما يسوء .
ـ وأين امضيت الوقت فيما بين ذهابك واياباك ؟
ـ أتجول هنا وهناك كيفما اتفق .
ـ بلا عمل وهذا مفهوم من البطاقة ، ولكن بلا اصدقاء ؟
ـ لا اصدقاء لى هنا .
ـ وامس متى غادرت الفندق ؟
ـ حوالى العاشرة صباحا .
ـ ومتى رجعت اليه ؟
ـ عند منتصف الليل .
ـ لم ترجع فى أثناء النهار كما فعلت اليوم ؟
ـ كلا .
ـ وهل سبق لك أن فعلت ذلك ؟
كيف خرقت مألوف سلوكك امس خلافا للخطة ؟ !
ـ مرة او مرتين ؟
ـ لا يتذكر أحد هنا ذلك .
ـ ولكنى اتذكره !
ـ مرة أو مرتان ؟
ـ الأرجح مرتان !
ـ وكيف تقضى هذا اليوم عادة ؟
ـ فى التجوال وأنا رجل غريب وكل مكان فى المدينة بالنسبة الى جديد .
ـ وماذا وجدت عند عودتك ؟
ـ قابلت عم محمد الســاوى فى هذا المكان ، وعلى سريقوس أمام باب حجرتى .

ــ وكيف وجدته ؟
ــ سألنى ان كنت فى حاجة الى خدمة ثم ذهب .
ــ الم يصادفك أحد من النزلاء ؟ .
ــ كلا .
ــ وكيف امضيت امس من الساعة العاشرة صباحا حتى منتصف الليل ؟
ــ تجولت فى الشوارع حتى موعد الغداء .
ــ واين تناولت الغداء ؟
ــ فى بقالة الحرية بكلوت بك .
ــ مكان غريب بعض الشىء لرجل من الأعيان .
طفح بالكراهية للرجل وهو يقول :
ــ اهتديت أليه أول عهدى بالمدينة وأنا أتخبط فآنست اليه .
ــ وبعد ذلك ؟
ــ مشيت على شاطىء النيل .
ــ فى هذا الجو ؟
وهو يضحك :
ــ أنا اسكندرانى .
ــ ثم ؟
فتركوان .. لا ، حتى لا يجر الهام ، وفيلم مترو رايته فى الاسكندرية .
ــ دخلت سينما مترو .
ــ متى ؟
ــ من الساعة السادسة .
ــ أى فيلم ؟
ــ فوق السحاب .
ــ وبعد التاسعة ؟

ــ تجولت كالعادة .. وركبت بص مصر الجديدة الى نهاية الخط لمجرد قتل الوقت .

قتل ! .. لماذا اخترت هذه الكلمة المرعدة !

ــ وأين تناولت العشاء ؟

آه .. حذار ..

ــ فى سينما مترو تناولت شطائر وحلوى .

ــ الم تقابل أحدا ؟

ــ كلا ..

ــ لم تعرف أحدا فى القاهرة ؟

ــ كلا ..

ثم بعد لحظة تردد :

ــ اتصلت بمدير الاعلانات بجريدة ابو الهول لعمل لكنها ليست علاقة معرفة بالمعنى المفهوم .

أخطأت ؟ .. هل يقحم ذلك الهام ؟ ..

ــ لماذا انتقلت من الاسكندرية الى القاهرة ؟

ــ زيارة سائح ..

ــ لعل هذا الفندق غير جدير باقامة سائح من الأعيان ؟ !

ــ هو جدير من الناحية الاقتصادية .

ــ يبدو انك لست من الأغنياء ؟

ــ بلى ..

ــ ولا غاية لك من الزيارة الا السياحة ؟

الحلقة تضيق . والكذب غير مجد فى هذه النقطة . وانت لم تفكر فى هذه الأسئلة عند وضع الخطة .

ــ ولدى مهمة خاصة .

ــ أمن الممكن أن آخذ عنها فكرة ؟

ــ مهمة عائلية .

ـ حدثنى عن أملاكك ؟

ـ مجرد نقود ..

ـ لا عقار ولا أطيان ؟

ـ مجرد نقود .

ـ ومحل اقامتك بالاسكندرية كما هو فى البطاقة أم تغير ؟

آه . تحريات . النبى دنيال . الكنار الليلى . بسيمة عمران. سوف تطاردك الشبهات بالوراثة .

ـ كما هو فى البطاقة .

ـ واموالك فى أى بنك ؟

ـ بنك ؟

ـ فى أى بنك تودع أموالك ؟

ـ ليست فى أى بنك ..

ـ أين تودعها ؟

ـ فى .. فى جيبى ؟

ـ جيبك ! ، الا تخاف عليها السرقة ؟

اجاب بيأس وحقد مكتوم :

ـ لم يبق منها الا القليل ..

ـ ولكن فى بطاقتك ما يدل على أنك من ذوى الأملاك .

ـ كنت كذلك ، أعنى قبل افلاسى ..

ـ وماذا أعددت لمستقبلك ؟

لا تتردد طويلا . سأتحداك بالصدق . أو رغم الصدق !

ـ كنت ابحث عن أبى ، وهذا هو مستقبلى .

ـ تبحث عن أبيك ؟

ـ أجل ، انفصلت عنه وانا فى المهد . ولذلك قصة عائلية لا لاأهمية لذكرها ، ولما افلست لم أجد بدا من البحث عنه .

ـ أليس لك أى فكرة عن مكانه ؟

- كلا ، والاعلان فى الصحف هو آخر ما عمدت اليه من وسائل البحث .

- ولعل ذلك هو السبب الحقيقى فى انتقالك الى القاهرة ؟

- لعله !

- وحتى متى تكفيك نقودك ؟

- شهر على الأكثر !

- تسمح ؟

أعطاه المحفظة بوجه يحمار ويحتقن ثم استردها بوجه عابس :

- واذا نفدت نقودك ؟ .

- شرعت فى البحث عن عمل . .

- ما مؤهلاتك ؟

- لا مؤهلات !

- أى نوع من العمل ؟

- عمل تجارى .

- هل تظن البحث سهلا ؟

- لى أصدقاء فى الاسكندرية ، ولن أجد صعوبة فى الحصول على عمل .

- أأنت مدين للفندق ؟

- كلا ، ولقد دفعت أجرة هذا الأسبوع مقدما .

- وكيف اهتديت الى هذا الفندق ؟

- صادفته وأنا أبحث عن فندق رخيص .

- ألم تكن تعرف فيه أحدا من قبل ؟

- كلا . .

- ولكنك عرفت فيه الكثيرين ولا شك ؟

- عم محمد الساوى وعلى سريقوس . .

- وعم خليل ، أعنى المرحوم خليل أبو النجا ؟

ـ طبعا ..

ـ ماذا ترك فى نفسك من أثر ؟

ـ رجل عجوز جدا وطيب جدا ..

ـ ومع ذلك فقد وجد من قتله بلا رحمة ..

ـ أمر محزن جدا ..

ـ أكنت تعرف أين يقيم ؟

اللعنة والمقت ولكن حذار من الكذب .

ـ فى شقة فوق السطح فيما أظن ..

ـ لست متأكدا ؟

ـ كلا ..

ـ كيف عرفت ذلك ؟

ـ على سريقوس أخبرنى ..

ـ ام انك انت الذى سألته ؟

ـ ربما ..

ـ ترى لم سألته ؟

ـ لا اذكر الآن بالضبط ولكن العادة جرت بيننا بالدردشة كلما جاءنى لخدمة ما ..

ـ الم توجه اليه اسئلة اخرى ؟

خفق قلبه بعنف اليم وهو يجيب :

ـ ربما ، لا اذكر سؤالا على وجه التحديد ، كانت مجرد ثرثرة .

وشعر بأنه يدفع الى شر يصعب التخلص من عواقبه ولكن الرجل سأل :

ـ حتى متى تبقى فى القاهرة ؟

ـ حتى أعثر على ابى أو أجد عملا او تنفد نقودى .

اشعل الرجل سيجارة فى صمت معذب ، وتفكر مليا ، ثم سأله :

ـ أليس عندك أقوال أخرى قد تفيد التحقيق ؟

ـ كلا ..

ـ قد نحتاج اليك فيما بعد فلا تسافر قبل أن تخطرنا ..

ـ بكل سرور يا فندم ...

لم تكن خطة كاملة . هى خطة بلهاء . ومحاولة الهرب جنون ، وسوف ترصدك عين لا تغمض . وعليك أن تستعيد كل سؤال وكل جواب لتعرف حقيقة مركزك .

## ١٣

مركزك غامض كالموت . غير بعيد أن تكون الآن محور بحث وتحر . وغير بعيد أن تكون الآن هدفا لعين أو أكثر . ولن تدرى بما يدور حولك . كعم خليل قبل أن تهوى عليه ضربتك . حذار أن تأتى حركة مريبة واحدة . الفندق خير منك فقد استعاد هدوءه . رائحة الموت طردت كثيرين من نزلائه ولكن غيرهم يجيئون . والاستراحة باردة برود القبر . وليس فى الجرائد اليوم من جديد وها أنت تقرأ الجرائد كبقية الناس . هاهم يعودون الى أحاديث القطن والعملة والحرب . والهواء يصفر فى الخارج كالعويل . والشحاذ يرتفع انشاده مضجرا سقيما فيا لالحاح الشحاذين .

والفت سمعه وقع أقدام فى مدخل الفندق فرأى عم محمد الساوى واقفا يستقبل كريمة . انتفض باطنه . وجلست المرأة وامها العجوز أمام الرجل . أجاءت لتتسلم ادارة الفندق ؟ . هل تلتقى عيناهما الآن أو بعد لحظات ؟ . حضورها رد اليك روحك الهاربة فمتى تغفل عنا العيون . سوف تبلغك رسالة بطريقة ما وليست الرحمة ببعيدة . وهى فى السواد أشد اثارة وما أحوجك الى

العزاء الساخن . ويدور بينها وبين الرجل حديث ترى ما أهميته غير الخافية ؟ . وسمع عم محمد الساوى وهو يقول :

ـ ولا أدرى حتى متى يسمح بدخول الشقة . .

تود أن تعرف بمقرها ولكن من الجنون أن تتبعها . كيف فاتك أن تسألها عن عنوان أمها وأنتما تضعان الخطة الكاملة ؟ . يجب أن تفكر فى الاتصال بك تليفونيا . وأن تتذكر حاجتك الماسة الى النقود .

ـ تليفون يا سى صابر .

ـ آه . . ماذا يريد التليفون . هل يحسن الرحيمى فن السخرية . تناول السماعة بيسراه وهو يمد يمناه الى المرآة قائلا :

ـ أكرر العزاء يا هانم .

تلقت يده شاكرة دون أن ترفع اليه عينيها . وجعل ظهره للساوى وعينيه لها طوال المحادثة .

ـ أنا الهام . .

لم لم تكن الرحيمى . ولم كان هذا الفندق بالذات . أجاب :

ـ أهلا .

ـ أنت بخير ؟

ـ بخير .

ـ لم تحضر أمس .

ـ آسف ، بعض التعب .

ـ فلنؤجل الحساب ولكنك ستحضر اليوم ؟

ـ ليس اليوم ، عندما أشفى من زكام .

ـ لن أضايقك ، أنت تعرف المكان والزمان ، الى اللقاء .

ـ الى اللقاء .

وأغلقت الخط ولكنه أبقى السماعة على أذنه كأنما الحديث ما زال متصلا . وظل ينظر الى كريمة حتى صاد عينيها فقال :

ــ يجب أن تتصلى بى بأى وسيلة ، بالتليفون على سـبيل المثال .

حولت عنه عينيها ولكن خيل اليه أنها فهمت لعبته . قال :

ــ أريد أن أعرف أشياء كثيرة ، لا شك أنك تدركين موقفى تماما ، لا بد من تفاهم بوسـيلة ما ، ولا تنسى أن نقودى تنفـد بسرعة ..

رمقته بنظرة سريعة محذرة فقال :

ــ انى مدرك تماما لجميع المصاعب ولكنك لن تعدمى حيلة ذكية .

عاد الى مجلسه مضطربا ولكنه ظفر بشىء من الارتياح . وما لبثت كريمة أن ذهبت متبوعة بأمها . واقتحمه احساس غامض بأنها تختفى الى الأبد . وقال انه بدونها جريمة بلا هدف . ولبث فى الاستراحة على أمل أن تتصل بالتليفون . ومر وقت عقيم . وترك اختفاؤها وراءه جحيما من الرعب ، وخلت الاستراحة من النزلاء فرأى عم محمد ينظر نحوه فتبادلا تحية مجاملة . وسأله الرجل :

ــ ماذا يبقيك وحدك ؟

ــ الزكام ! ، تناولت اسبرينه وسأذهب اذا شعرت بتحسن .

وهو يتكلم انتقل الى الكرسى التى جلست عليه كريمة من قبل . ترى أين يقبع المخبر ؟ . وقال :

ــ كم خيب هذا التليفون أملى .

ــ آه . . الغائب سره معه .

فرنا اليه برثاء قائلا :

ــ الحق أنك تعرضت لتجربة قاسية .

تقلص وجه العجوز وهو يقول :

ــ لا أراك الله ما رأيت !

— لا شك انه كان منظرا فظيعا ، انا لم أر ميتا قط ، حتى جثة امى اغمضت عينى وانا اقرأ عليها الفاتحة ...

— ومع ذلك فالميتة شيء والقتل شيء آخر .

— أجل ، القتل .. الدم .. الوحشية .

— وحشية تستحق اللعنات الأبدية .

— انى اتساءل أى سبب يبرر القتل ؟

— نعم ، اى سبب ؟!

— والقاتل .. اى نسان هو ؟ .

— من كان يصدق أو يتصور ، رايت قبل ذلك قاتلا .. صبى بقال .. وطالما ظننته وديعا كالحمام ..

— عجبت حقا ! .

— ولكن أين المفر ؟ .

— صدقت ، أين المفر ؟ ، وعما قريب سنسمع بالقبض عليه .

حدجه العجوز بنظرة حزينة ثم قال :

— لقد قبض عليه بالفعل .

— من ؟ .

— القاتل .

— القاتل ! ، لم نسمع ولم نقرأ .

هز راسه هزة العارف دون أن ينبس :

— ولكن من هو ؟

— على سريقوس .

— ذلك الأبله ؟ !

— كصبى البقال ! .

— الذلك لم أره اليوم ولا مساء الأمس ؟

— ليرحمنا الله .

— وهل علمت بذلك زوجة المرحوم ؟

ـ طبعا ..

ـ الانسان لغز .

ـ ضبطوا عنده نقودا .

ـ ربما كانت نقوده ؟ .

ـ لكنه اعترف بالسرقة ، لهم وسائلهم .

ـ واعترف بالقتل ؟ .

ـ لا أدرى .

ـ لكنك قلت انهم قبضوا على القاتل !

ـ هو ما قالت كريمة .

ـ أيعنى هذا أن السرقة كانت الباعث على القتل ؟

ـ أظن ذلك .

ـ كان بوسعه أن يسرق دون أن يقتل .

ـ الراجح أن المرحوم استيقظ فاضطر الى قتله .

ـ كان طيبا لدرجة البلاهة .

ـ الانسان كما قلت لغز .

ـ أكثر من لغز .

ـ اتدرى أن الشحاذ الذى نسمع مديحه النبوى كل ساعة كان فى شبابه فتوة داعرا ؟

ـ ذلك الرجل !

ـ ثم فقد كل شىء من قوة ومال وبصر فتسول .

ـ ولكن على سريقوس عثر على حافظة نقودى صباح الجريمة فاتانى بها .

ـ لعله أمكر مما نتصور .

هل تقع المعجزات بهذه السهولة أو هو بنيان من الأوهام يقوم على لا شىء ؟

ـ أما كان الأجدر به بعد ذلك أن يهرب ؟

— الهرب اعتراف .
— وكيف يخفي المسروقات في حجرته ؟
— ربما ضبطت في بيته .
— تهريبها الى بيته لا يقل غباء .
— تلك حكمة ربنا .
— عندما قابلني في الصباح قبل اكتشاف الجريمة كان هادئا لطيفا كعادته .
— من الناس من يقتل القتيل ثم يمشي في جنازته .
الثبات . احذر أن تفضح اطرافك أضطرابك الخلفي . قد يوافيك التليفون بضوء . وعاد العجوز يقول :
— كنت أول من حقق معه .
— أنت !
— طبعا ، فأنا آخر من كان معه ليلا وأول من دخل شقته صباحا .
— ولكن من يتصور ..
— تلقيت سيلا من الأسئلة ، وكنت أغلقت الباب بيدى ، وكانت النوافذ مغلقة ، ولكن وجدت نافذة مردودة دون اغلاق .
— لعلها نسيت .
— اكدت الزوجة أن جميع النوافذ كانت مغلقة .
— هل كسرها على سريقوس ؟
— غير معقول فالكسر حقيق بأن يوقظ النزلاء لا المرحوم فحسب .
— لعله طرق الباب ففتح له الرجل .
— ولماذا يفتح النافذة ؟ .. ثم انه لم يكن بوسع الرجل أن يغادر فراشه وقد قتل وهو نائم عليه ..
ونظرة عينيه .. وصوت الصمت .

ــ ربما تمكن من الاختفاء فى الداخل .

ــ أبدا ، لقد غادر الشقة قبلى وأنا من أغلقها .

ــ لعله . .

ماتت بقية الجملة اذ خنقها الرعب . أوشـك أن يقول لعله تظاهر باغلاق النافذة دون أن يغلقها ، مع أن المفروض انه لا يعلم بأن على هو الذى أغلق النوافذ . ورغم نجاته فقد تثلج من الرعب . وتساءل العجوز :

ــ لعله ماذا ؟

ــ لعله فتح الباب بمفتاح آخر .

ــ ربما ، ولكن لم فتح النافذة ؟

ــ الراجح أنها نسيت مفتوحة . .

ــ الله أعلم .

ــ كانت محنة لك ولكنك رجل طيب .

ــ لا ادرى كيف تركونى ولكنهم يحسنون عملهم .

ــ والجرائد سكتت فجأة ، لا كلمة اليوم عن الجريمة .

ــ الله يرحمك يا عم خليل ، لقد عرفته منذ ستين عاما .

ــ وكم بلغ عمره ؟

ــ جاوز الثمانين .

ــ ومتى تزوج ؟ .

ــ منذ عشرة أعوام .

ــ لكنه زواج عجيب ، أليس كذلك ؟

ــ لقد تزوج فى شـبابه وأنجب ، ثم ماتت أسرته جميعـا ، ولبث أرمل عمرا ، حتى تمت مشيئة الله ، وكان يحبها كأب قبل كل شىء .

ــ هذا هو المعقول .

ــ كان رجل جد وعمل ، وكان محسـنا ، ساعدنى فى تربية أولادى الله يرحمه .

ـ وكيف تزوج منها ؟

ـ كان يسافر الى الاسكندرية لبعض الأعمال .

فقاطعه :

ـ أهى من الاسكندرية ؟

ـ كلا ، كان عند كل رحلة يقيم أياما عند صاحب له فى طنطا ، وكانت هى متزوجة ..

ـ متزوجة ؟ .

ـ من ابن خالتها ، شاب بلطجى وضيع ، وقد رآهما عند صاحبه ، آه .. لقد تكلمت أكثر مما ينبغى ..

ـ ولكن كيف تزوجها ؟

ـ طلقت من ابن خالتها فتزوجها .

ـ وتزوجت من رجل فوق السبعين !

ـ لم لا ؟ .. لقد وفر لها الاحترام والطمأنينة .

فقال بذهول :

ـ والسلام !

وجعل يتذكر كلمات امه الأخيرة ، ثم تيساءل :

ـ ولكن البلطجى لا يطلق زوجة حسناء فكيف طلقها ابن خالتها ؟ .

ـ لكل شيء ثمنه ..

ورمش الرجل كالنادم على تسرعه فقال صابر :

ـ ذلك ماض قد مضى ..

ـ لكنى اتكلم اكثر مما ينبغى ، والحق أننى كثيرا ما أهذى مذ رايت دمه .. أستغفر الله العظيم ..

ربيبة بلطجى ، جارية سوقية ، زوجة رجل فان ، مدبرة جريمة رهيبة ، خالقة لذات جنونية ، معذبتك الى الأبد . وبمجرد

وهم لا أساس له ساقك الى فندقها الدامى ثم رمى بك الى براثن هذه الحيرة القــاتلة . كالوهم الذى دفعك تجرى وراء ســيارة كالمجنون .

## ١٤

قهوة مضاعفة لتفيق من الأرق . ونظر الى التليفون خــلال سحب الدخان المتصاعدة من سجائر النزلاء وتساءل متى تتكلم كريمة . وهطلت السماء فى الخارج بغــزارة دقائق معــدودة ثم أشرقت السماء ولكن الطريق غشاه الوحل . كريمة صامتة كالموت كأنها لا تدرى عذابه . وأنت تشرب أردأ أنواع الأنبذة ، وتسهد فوق فراشك حتى الفجر ، وتحلم حتى يخيل اليك أن النزلاء يسمعون صراخك ، واذا تدهورت صحتك فلن يخفى ذلك عن عين الرقيب ، أما كريمة فلا يهمها شيء .

واستأذن فى الجلوس الى ترابيزته — لازدحام الاستراحة — قادم لعله الوحيد الذى بقى من النزلاء الذين عاصروا يوم الجريمة فأذن له وهو كاره يتوجس ثرثرة مزعجة . وصدق توجسه اذ قال الرجل :

— قبضوا على القاتل .

فقال صابر مخفيا انزعاجه بابتسامة :

— سمعت ذلك .

— على سريقوس ؟.

— نعم .

حبك العباءة حول جسده وقال :

— مجرد سرقة لا كما ظننت .

- وماذا ظننت ؟.

- الحق انى سيىء الظن بالنساء !

حدجه بنظرة مستطلعة فقال الرجل :

- زوجة جميلة وشابة وسوف ترث تركة لا بأس بها :

قال صابر وهو يشد على أعصابه :

- دار براسى نفس الخاطر .

فضحك الرجل قائلا :

- بعض الظن اثم .

الم يدر ذلك براس المحقق ؟. ولكن كريمة صامتة كالموت . وهذا التليفون لا يحقق رجاء قط . والبرد والمطر والوحل لم تسكت صوت الشحاذ . وناداه محمد الساوى وهو يشير الى السماعة فهرع الى التليفون بتوسل معذب :

- آلو ..

- صابر ؟

لم يتخيل يوما ان يتلقى صوتها بهذه الخيبة :

- الهام .. كيف حالك ؟

- هل اضايقك ؟

- أبدا ، سترين انه المرض وسوف أنتظرك اليوم .

ان قطعها بلا تمهيد لفوق الطاقة ولكن ما أيسر أن يجعلها هى القاطعة . يجب أن يبعدها عن وحل طريقه ولو بجراحة اليمة . وها هى لا تدرى شيئا عن افكاره فتبتسم فى عتاب وتطالعه بصفاء لا يكدره شيء . آه .. كيف أمكن أن يحبهـا ذلك الحب العميق الصادق !. وتصافحا بقوة وهى تقول :

- ألا تشعر بالذنب ؟.

وتوقفت عن الكلام وهى تنزع قفازها وتجلس قائلة بقلق :

- شد ما أثر فيك الزكام .

ــ بل انفلونزا خبيثة .
ــ ولا احد يعنى بك ؟
ــ لا احد البتة .
ــ ألم تستشر طبيبا ؟
ــ كلا ... وقد شفيت من المرض ولم يبق الا ظله ..
ــ يسرنى إن أسمع ذلك ، ستشرب مزيدا من العصير .
ومضيا يتناولان الطعام وهى تنظر اليه أكثر الوقت .
ــ فكرت اكثر من مرة ان ازورك .
ــ احمد الله انك لم تفعلى ..
هزت منكبيها ولكنها لم تناقشه ثم قالت بابتهاج :
ــ اما انا فلم أضيع دقيقة واحدة .
ستسمعك لحنا جميلا بعد أن أصابك الصمم .
ــ أنت ملاك .
ــ الا تصدقنى ! ، اذن فاعلم بانك ستبدأ حياة جديدة أو اننا سنبدأ حياة جديدة ، ما رأيك ؟
طارد فتوره اكراما لها وقال :
ــ رأيى انك ملاك واننى حيوان كسيح .
لمعت عيناها وهى تقول :
ــ راس المال الذى تحتاجه تحت أمرك !
ــ رأس المال !
ــ نعم ، هو ما اقتصدته للمستقبل ، وثمن بعض حلى لا أستعملها ، ليس ضخما ولكنه يكفى ، وقد استشرت زملاء خبيرين ، أؤكد لك أننا سنبدأ فوق أرض ثابتة .
آه .. ليس لحنا جميلا فحسب . معجزة أيضا . هل كنت تحلم بذلك !. راس مال بلا سرقة ولا جريمة . ومعه الحب الحقيقى . اذن رد الحياة الى عم خليل واستيقظ من الكابوس ! وتأوه بلا صوت :

ــ الهام .. كلما غمرتنى بنبلك زاد اقتناعى بأننى غير اهل لك ..

ــ لا وقت للشعر !

هى فى غاية من السعادة والحماس . واطفاء شعلتها سيكون جريمتك الثانية . لكنها تمد يدها لتقطف ثمرة غير موجودة . ولم يجر لك فى بال انه يمكن حل مشكلتك بهذه السهولة . ها هو الحب والحرية والكرامة والسلام فأين انت !. ولماذا لم تقع المعجزة قبل الجريمة ؟.

ــ فيم تفكر ؟. توقعت أن تفرح !.. أن تفرح كثيرا !

لم يبق الا ان تصدمها بالحقائق لتشفى . قال متنهدا :

ــ قلت لك اننى لست أهلا لنبلك فلم لا تصدقيننى ؟

ــ توقعت أن تفرح .

ــ فات الوقت ..

ــ يا ربى .. أنت لا تحبنى ..

ــ الهام .. الأمور معقدة جدا ، انا احببتك من اول نظرة ولكن من انا ؟

ــ لا تحدثنى عن أبيك ولا فقرك ولا عدم صلاحيتك ..

انت تعذبيننى لأنك تشطريننى شطرين . والوسيلة الوحيدة لشفائك أن أصدمك بالحقائق .

ــ لعلك ما زلت مريضا !.. انك امامى ولكنى اتساءل أين صابر ؟.

ــ أود الا تتساءلى بعد اليوم والا تتكدرى ..

ــ ان كنت مريضا ..

ــ كلا .. ليس المرض..

ــ أذن فما هو ؟. لماذا قلت فات الوقت ؟

ــ أقلت ذلك ؟

ـ منذ ثوان !

ـ أنا اعنى شيئا واحدا بكل اصرار وهو اننى غير أهل لك .

ـ أرفض هذا السخف ، انت تعلم اننى أحبك .

ـ وهذه هى جريمتى ، نحن للأسف لا نفكر امام الحب الا فى الحب فقط .

ـ ولماذا هى جريمة ؟

ـ لأنه كان يجب ان اقدم لك نفسى على حقيقتها .

ـ فعلت ذلك وقبلتك ..

ـ حدثتك عن ابى ولكننى ..

ثم واصل بمرارة :

ـ ولكننى لم أحدثك عن أمى !

رمقته بنظرة مستنكرة وهى تقول :

ـ انا أحبك انت ولا دخل للماضى فى ذلك .

ـ يجب ان تصغى الى .

ـ بالله دعها ترقد فى سلام .

ـ الاسكندرية كلها تعرف ما سأحدثك عنه .

ـ لنحذف الاسكندرية من خريطتنا .

قال وحلقه يغص بالمرارة :

ـ لقد ختمت حياتها فى السجن !

حملقت فى وجهه كانما تنظر الى مجنون فقال :

ـ ارايت ؟

ثم وهو يزدرد ريقه :

ـ ولذلك صادرت الحكومة أموالها ، وهذا هو سر فقرى بعد الغنى ، ولم تترك لى الا وهماً هلكت وأنا ابحث عنه .

صدمة قاسية يئن لها قلبك ولكنها ستفيق .

ـ لا يحق لى ان أحب امراة الا من النوع الذى كانت تعاشره !،
كان يجب أن اتجنبك ولكن سحرنى الحب كما قلت لك .

انها لا تستطيع ان تتكلم وهذا حسن ، أو لا يبقى أمامك الا
ان تعترف بما هو أدهى .

ـ هذا ما يعزينى عن خسارة الفرصة التى تهبينها لى ، وقد
عشت حياتى الماضية عيشة العبث بفضل مالها الحرام ، ولم يكن
بينى وبين الاتجار فى الأعراض الا خطوة ، ولعله العمل الوحيد
الذى يليق بى ..

اجتزت أشـد العقبات . كأنك سـعيد ! . ويا ليت الليل
لا يوجد . ولعل المحقق يعلم الآن بتفاصيل هذه القصة المخزية .

وخنى راسه لها تحية ثم ذهب .

وفى عصر اليوم التالى دعى الى التليفون . وشـد ما انزعج
عندما سمع صوت الهام .

ـ أهلا الهام ؟

قالت بصوت متهدج :

ـ صابر .. أردت .. اريد .. أريد أن أقول ان كل ما قلت
لى أمس لا يهمنى !.

## ١٥

الهام .. لست الا عذابا . أما كريمة فقد جمعت بينكما الجريمة برباط لن ينفصم حتى الموت . وحاجتك اليها كالجوع الكافر وان قذف بك فى أعماق الجحيم . والوقت يمر مقطرا العذاب ولكن مروره بلا حدث يهب شيئا من الطمأنينة . وسوف تجد وسيلة أو أخرى للاتصال بكريمة . وخير ما تفعلان فيما بعد أن تبيعا الفندق ثم تعيشا فى مدينة غريبة . وسوف تعيشان عيشة فطرية تلقائية فهى ليست كالهام التى تلهبك بسوط التغيير والتعذيب . ولكن متى تنوى كريمة الاتصال بك !. وما العمل اذا نفدت النقود الباقية !. حتى عمل على سريقوس يقبله اذا ابقى له على الأمل فى الاتصال بكريمة يوما ما . ترى هل يشنق الرجل ؟. لقد قتلت رجلا بيدك فما يضيرك أن تقتل الآخر بيد غيرك !. لكن متى تستيقظ من الكابوس ؟.

وقبل أن يغادر الفندق صباحا طلبته الهام بالتليفون وسألته :

ـ هل ستجدد الاعلان ؟.

فأجاب فى ضجر :

ـ كلا ..

فقالت بتودد :

ـ رجوت شخصا مهما أن يبحث عن الرقم السرى للرحيمى ان كان له رقم سرى !

ـ ولم يجد شيئا طبعا ؟.

ـ لا للأسف ..

ـ لا تشغلى بالك ..

ـ لنا مراسلون فى الاقاليم وهم يقومون الآن بتحريات هامة .

ـ لسانى يعجز عن شكرك !

ثم سألت بصوت ينم على الحياء :

ـ الا تفكر فى زيارتنا ؟

فقال بحزم :

ـ كلا ، مراعاة لصالحك قبل كل شىء .

ـ ترى أتبكى أم تغالب البكاء .

ـ قلت لك لا يهمنى ..

ـ ولكنه يهمنى جدا ..

انقطع الاتصال بعد ذلك . تألم من جديد حتى حنق عليها من شدة تألمه . ما قيمة الجمال فى هذا العالم الدامى !. الا تريد عيناها أن تريا الا هذا الجمال الملعون ؟!. وقبل أن يغادر موقفه رأى عم محمد الساوى يتطلع اليه بابتسام فابتسم اليه متوددا فدعاه الى الجلوس . قبل الدعوة بامتنان خفى . وسأله العجوز :

ـ مستعجل ؟

ـ أبدا ، لا غاية لى وراء الذهاب .

فقال بارتياح :

ـ اذن فاجلس قليلا ، الحق انى أشعر بوحشة منـذ موت المرحوم . ولا أجد من أحادثه ..

ـ وأبناؤك ؟

ـ لا أحد منهم فى القاهرة ..

ـ كان الله فى عونك ..

لم يبق فى الاستراحة سوى رجلين ، وفى الخارج غطت أصوات العمال والعربات على مديح الشحاذ .

ـ أليس هنالك من جديد ؟

ـ لى صديق من المخبرين ولعله يدعى من العلم ما ليس له .



الحق انى اشعر بوحشة منذ موت المرحوم ، ولا أجد من احادثه ..

ــ ماذا قال ؟

ــ على سريقوس ، لم يجدوا احدا غيره .

ــ لعله اعترف .

ــ لا أدرى .

ــ أغرته سرقة حقيرة .

ــ لقد أنكر السرقة .

ــ ألم يعترف بها من قبل ؟

ــ بلى ، ثم عاد فانكرها .

ــ ولكن النقود ضبطت عنده !

ــ قال ان الزوجة جادت بها عليه .

خفق قلبه خفقة مؤلمة جدا :

ــ زوجة المرحوم ؟

ــ نعم .

ــ ولكن ، لماذا ؟

ــ على سبيل الاحسان .

ــ وهل كانت تحسن الى الخدم الآخرين ؟

ــ سئل فى ذلك جميع الخدم ولكن ثبت أنه كان الوحيد .

وهو يزدرد ريقه :

ــ هذا غريب .

ــ الأغرب من ذلك أنه رجع فاعترف بالسرقة .

ــ والاحسان المزعوم ؟

ــ قال انها كانت تجود عليه ببعض النفحات عندما يؤدى لها خدمات فى شقتها ، ثم عرف من وراء ظهرها مكان النقود فسولت له نفسه السرقة .

ــ وذهب ليسرق فقتل !

ــ أظن هذا .

ـ ورأى المحقق ؟

ـ من يدرى ؟.. ولكنهم مقتنعون فيما يبدو بأنه القاتل .

ـ وربما يكون قد اعترف .

ـ ربما .

ـ لا شك ان الزوجة كانت تهبه قروشا .

ـ ربما .

ـ ولكن لماذا انكر السرقة ثم عاد فاعترف بها ؟

ـ من يدرى ؟

ـ هل للمسألة وجه آخر ؟

ـ آه .. من يقطع بذلك ؟

اكتشف لأول مرة ـ وهو ينظر من قريب فى وجه العجوز ـ أن لون عينيه أخضر باهت ، وكلما أمعن فيه النظر خيل اليه انه يرى صورة جديدة لدرجة انه تعذر عليه استحضار الأولى .

ـ أتظن أن للمسألة وجها آخر ؟

ـ من أين لى أن أعلم ؟

آه .. هكذا سيشعر البشر وهم يقتربون من الجحيم فى الآخرة .

ـ انت تعلم الكثير ولا تقول الا القليل .

ـ أخشى أن يكون العكس هو الصحيح .

ـ ألم يسألوا الزوجة من جديد ؟

ـ استدعوها للتحقيق أكثر من مرة ..

ـ ألم يكن لأقوال سريقوس دخل فى ذلك ؟

ـ بلى .

ـ اتثق بالمخبر كل الثقة ؟

ـ لكنها هى التى قالت لى بنفسها ..

ـ الزوجة !

ـ نعم ، جاءت مساء امس .

اختارت الوقت الذى لا يوجد فيه بالفندق . وعندما يدك زلزال الأرض دكا فماذا يهم التحقيق أو المحقق . وقد يستشف العجوز وراء اسئلتك دافعا أهم من حب الاستطلاع ولكن كيف تحذر الحر والنيران تشتعل فى ملابسك ؟.

ـ هل تكلمت عن الاحسان الى سريقوس .

ـ مجرد احسان طبعا .

ـ هذا هو المعقول .

ـ لماذا ؟

ـ على سريقوس غير مقنع كرجل !

ـ اتحيط علما بهذه الأسرار ؟

ـ ليس كل رجل يصلح .

ـ لكننى عشت أضعاف اضعاف حياتك .

ـ لعلك تشك فى سلوك المراة ؟

ـ لم أقل ذلك .

ـ أنت اذن واثق من أمانتها ؟

غض العجوز بصره فى حزن . وصمت مليا . ثم قال :

ـ أنا لا أشك فى سلوك المراة ولكننى متأكد من ذلك !

انظر كيف تتكشف عوالم من الفزع تحت سطح أملس من التراب :

ـ اذن فهى امراة آثمة ؟

ـ نعم ويا للأسف .

ـ وعرفت ذلك من قبل مصرع صديقك ؟

ـ نعم ، راحة باله كانت أهم عندى من الحقيقة .

ـ ألم تصرح بآرائك فى التحقيق ؟

ـ طبعا . .

ـ صرحت بالعلاقة الآثمة التى بينها وبين على سريقوس .

ـ على سريقوس ! ، أنا لا أفكر فى على سريقوس .

آه . . هل وقع فى مصيدة !

ـ كنا نناقش موقفه .

ـ لكننا تحدثنا بعد ذلك عن المرأة .

ـ باعتبارها الطرف الآخر ؟

ـ كلا ، هنالك رجل آخر .

تعال . الجحيم يسع أكثر من رجل !

ـ رجل آخر ؟

ـ زوجها السابق .

وهو يسترد روحه :

ـ الرجل الذى باعها ؟

ـ كانت مجرد صفقة لها ما بعدها !

ـ ولكن كيف عرفت ذلك ؟

ـ رأيته اكثر من مرة يتسلل الى بيت أمها وهى هنالك .

ها هو الجحيم يعود افتك نيرانا .

ـ واخفيت الأمر ؟

ـ لو أبلغته المرحوم لقتلته .

ـ وقد قتل رغم ذلك .

ـ نعم ويا للأسف .

ـ كيف سمح لها بتلك الزيارات ؟

ـ ايغاله فى الشيخوخة انساه كل شىء حتى سوء الظن .

ـ وقلت ذلك فى التحقيق ؟

ـ قلته .

ـ حققوا معهما ؟

ـ ثبت أن الرجل كان خارج القاهرة ليلة الجريمة .

ـ هذا لا يمنع من أن يكون مدبرها .

ـ بلى ولكن التحقيق انتهى باطلاق سراحهما ..

ـ كيف ؟

ـ عندهم الأسباب .

ـ لعلهما استغلا الخادم بمكر فائق ؟

ـ أو اى أحمق سواه .

وهو يزدرد ريقه :

ـ وربما كانت مجرد ظنون لا تقوم على أساس .

ـ ربما ..

ـ لكنك قلت انك متأكد ..

ـ مغالاة بعض الشىء فى التعبير ..

ـ عدنا من حيث بدانا ..

وهو يهز رأسه فى حزن :

ـ قلبى يحدثنى بأن ظنونى صادقة .

ـ ولعله لا توجد علاقة بين الخيانة وبين الجريمة ؟

ـ ربما ، والا فكيف أطلق سراحهما .. ؟

ـ على اى حال فقد ادى على سريقوس لهما خدمة لا تقدر بثمن .

ـ اذا كان هو القاتل .

ـ الا تعتقد انه القاتل ؟

ـ كل شىء محتمل .

ـ احيانا يخيل الى انك لا تصدق ذلك . ؟

ـ لم لا ؟ .. الا تذكر حديثى عن صبى البقال ؟

ـ لعله القاتل اذن ؟

تنهد قائلا :

ـ اعتقد ان القاتل سيقتل ولو بعد حين .

لن تذوق النوم حتى تحقق معها بنفسك . امراة جهنمية لكن

ما اغباها اذا حسبت أنها يمكن أن تعبث بك . ألم تقتنع بأنك قادر على القتل اذا أردته !. ولكن كيف تعرف عنوانها ؟. وعاد العجوز يقول :

ــ زوجها القديم لم يدبر الجريمة والا لما اطلق سراحه بتلك السهولة ، أما الجريمة الأخرى ..

ــ انه ابن خالتها وليس من الشاذ ان يزور خالته .

ــ الحق انني شككت فى الأمر من قديم ، كانت أمهـا تقيم فى الفجالة غير بعيدة من هنا ، وكان المرحوم يصطحب زوجتـه الى بيتها كلما اشتاقت الى رؤيتها ، واذا بالأم تقرر أن تنتقل الى شارع الساحل رقم ٢٠ بالزيتون ، لماذا ؟ ، لم أجد لذلك تعليلا الا ان تتخذه الزوجة عذرا للاقامة اياما عند أمها كل شهر ، ورغم معارضة المرحوم بادىء الأمر فقـد انطلت عليه الحيلة فسلم بالواقع ..

آه .. لم يتخيل أن يظفر بطلبته بذلك اليسر ، ودون بذل أى مجهود من ناحيته ، لكن الجنون كان يعصف به عصفا . أجل كان الجنون يعصف به عصفا .

## ١٦

لولا يقينه من ان عينا من عيون الأمن تراقبه بطريقة ما لاندفع من فوره الى الزيتون . لا بد اذن من التريث حتى يجـد حيلة جهنمية . ولما نزل صباحا من حجرته رأى ظهر الساوى وهو منحن فوق مكتبه فخيل اليه لحظة انه يرى عم خليل ابو النجا . ودهمته الحقيقة الغريبة ــ وكأنها تدهمه لأول مرة ــ وهى انه أزهق روحا . وتساءل ترى هل يمكن أن يتذكره عم خليل الآن بطريقة ما ؟ . وتمهل قليلا وهو يصـبّح على العجوز ولكنه رد تحيته بعجلة وعاد الى دفتر الحساب وكأنه نسى تماما حـديث الأمس كله . نسى الأسرار الرهيبة التى كان سيمضى حياته كلها وهو يجهلها . وتناول فطوره فى الاستراحة براس ثقيل من أثر المنوم . كريمة .. لن أسمح لقوة فى الأرض بأن تجعل منى أبله . ستجدينني قريبا فوق رأسك ضربة قاضية . افعلى ما تشائين ، خونى أو تزوجى ، فان حبل المشـنقة فى يدى . لا تتوهمى أن حياتى أغلى من كبريائى . أما حديث المال والحرب فلا ينقطع فى الاستراحة كانشاد الشحاذ فى الخارج . ودعته الهام الى التليفون . لشد ما يحنق عليها كلما سمع صوتها من أعماق دوامته .

ــ الا تقابلنى اليوم ولو بعض دقائق ؟

ــ لا استطيع .

ــ أذكر سببا مقنعا .

ــ لا أستطيع .

ــ حتى لو كان الأمر يتعلق بأبيك ؟

تساءل بذهول :

ـ أبى ؟ !

ـ نعم . .

ـ ولكن كيف ؟

ـ فلنتقابل اليوم !

حتى ابوه لا يمكن ان يستحوذ على انتباهه فى هــذه اللحظة النارية الدامية .

ـ لا استطيع .

ـ لكنه أبوك الذى جئت للبحث عنه !

ـ ربما فيما بعد . .

ـ هل اجىء اليك ؟

فقال بضيق لم يخل من حدة :

ـ كلا . .

اى جديد جدّ عن الرحيمى ؟. وماذا يهمه الآن ؟. الزينون هى كل شيء . وربما لم يكن الأمر كله الا حيلة لاستدراجه الى اللقاء . الزيتون الآن هى كل شيء . وهام على وجهه معذبا وهو يفكر بلا انقطاع . وشرب كثيرا من النبيذ الردىء ثم تخبط فى الشوارع مواصــلا التفكير حتى آمن بأنه سينتصر على المخبر المجهول الذى يتعقبه . ها هو يصعد الى حجرته لينام ولكنه لن ينام . المخبر هو الذى سينام . وعقب أذان الفجر بقليل غادر الحجرة فى حذر شديد ثم نزل على مهل الى مدخل الفندق . راى على ضوء المصباح السهارى خادما نائما وراء الباب المغلق فشعر بخيبة وغيظ . ولم يفكر فى ايقاظ الخادم ليفتح له اذ لم يستبعد أن يكون هو المخبر . تراجع حائرا وانفاســه تتردد فى الصمت العميق . وطرأت فكرة لم يدرسها من قبل فبعثت حيويته من جديد فرقى فى السلم حتى السطح بلا توقف ولا تردد . وعندما وقع بصره على الشقة المغلقة تحت ضوء النجوم سرت فى أطرافه

رعدة حتى اغمض عينيه من التأثر . واندفع نحو السور الفاصل بين سطح الفندق وسطح العمارة الملاصقة فعبره كالمرة الأولى : آه .. انه يرتجف ولكن ما أحوجه الى قوة أعصابه . ومضى الى باب السطح ثم نزل فى ظلام دامس حتى مدخل العمارة المضاء بمصباح سهارى . راى حجرة البواب مغلقة ، والباب الخارجى مغلقا كذلك والمفتاح فى القفل . كل شيء معد كأنما بتدبير سابق . دلف من الباب وأدار المفتاح ولكنه لم يطاوعه ! . لماذا ؟ . وشده بحذر فأخذ ينفتح فأدرك أنه كان مفتوحا ، لماذا أيضا ؟. أراد ان يخرج ولكن اعترضه شبح رجل سد الفتحة سدا وهو يسأل بصوت جاف :

ـ من ؟

بسرعة جذبه الى الداخل مجازفا بحياته . وفى اللحظة التالية طعنه بركبته فى بطنه فتقوس وهو يئن فهوى على رأسه بقبضته فسقط على وجهه . مرق الى الخارق يخترق البرد والفجر والخلاء . عبر الطريق الى بواكى الجانب الآخر ثم اتجه نحو الميدان. ولم يكد يخطو بضع خطوات حتى اصطدم بشبح فكاد يسقطه على ظهره . وقد تأوه قائلا :

ـ آه .. أنا رجل ضرير ..

قال متعجلا :

ـ لا مؤاخذة ، الظلام شديد تحت البواكى .

ـ ربنا ينور بصيرتك ، دعوة مستجابة باذن الله من سائل مسكين .

اقشعر من التقزز . هو الشحاذ دون غيره . حتى فى هذه الساعة من الفجر يسعى . وواصل سيره وصوت الرجل يلاحقه :

ـ حسنة لله تنور طريقك .

واستقل تاكسى وهو يتنهد . سوف ينتظره المخبر طويلا .

وستعمى عيناه من التحديق هنا وهناك . وغادر التاكسى فى شارع الساحل على بعد قريب من البيت المكون من دور واحد والظلام ينزع آخر غلالة قبل الشروق . طرق الباب لا يدرى عما سيفتح ولكنه سلم نفسه للمقادر . انفتحت الشراعة عن وجه كريمة ! . وبسرعة واضطراب فتحت فدخل .

فى قميص النوم مشعثة الشعر خاملة المفاتن ، همست :

ـ جننت ؟ !

ومالت الى حجرة على يمين الداخل معدة للاستقبال . وقفا وجها لوجه تحت ضوء مصباح عار :

ـ تصرف مخرب ، جننت ؟

وهو يثقبها بعينيه اللتين لم يغمضا :

ـ ربما . .

ـ ألم تفكر فى خطورة الزيارة ؟

ـ هى اهون من الانتظار بلا أمل .

ـ الانتظار ضرورة ، الا تدرك ان حالى ادق من حالك !

ـ واظل انتظر حتى الموت ؟

ـ حتى يصبح الاتصال مأمونا . .

ـ عندك التليفون .

ـ صوتى يعرفه عم محمد .

ـ اى صبى بقال كان يمكن ان ينوب عنك فى طلبى .

ـ حققوا معى أكثر من مرة ، ركبنى الخوف ولم يعد فى راسى عقـل !

ـ أنت تدبرين جرائم القتل فى اثناء المضاجعة .

ـ لا ترفع صوتك فأمى نائمة . .

ـ أليست شريكة لك فى اسرارك ؟

ـ مجنون ! . . حالتك غريبة !



لا تراوغى ، يجب أن أرى من ينام فيها !

ــ يجب أن أرى حجرة نومك .

ــ حجرة كبقية حجرات البيت .

ــ لا تراوغى ، يجب أن أرى من ينام فيها !

اتسعت عيناها وهى تقول :

ــ ماذا جرى لعقلك ؟

ــ ابن خالتك ، زوجك السابق ، أليس هنالك ؟

ــ من قال ذلك ؟ ، لا أحد هنالك ، ها هو الخراب يجىء بيدنا لا بيد الآخرين ..

ــ ليكن ، لا بد أن أرى بعينى ..

أزاحها من أمامه وغادر الحجرة . فتح أول باب فرأى العجوز مستغرقة فى النوم . وفتح بابا آخر فرأى حجرة نوم ، حجرة نومها على الأرجح ، وفراشا ينفتح غطاءه عن الثغرة التى انزلقت منها . ودار بالحجرات والمرافق فلم يجد أثرا لأحد . رجعا الى موقفهما بحجرة الاستقبال وهو يقول بحنق :

ــ شتتِ عقلى ، فالرجل يجب أن يتجنبك فى فترة التحقيق .

ــ قلبى يحدثنى بأن مخلوقا لئيما أوقع بيننا ..

ــ ألم يكن ابن خالتك زوجا لك ؟

ــ كان .

ــ وباعك للزوج الذى دبرت قتله ؟

ــ سيقبض علينا اليوم يا مجنون .

ــ اجيبينى ..

ــ انت غبى ؛ جازفت بحياتى لأنى أحبك .

ــ فى هذا الماخور كان يجىء للنوم معك ..

ــ الا تفرق بين الصدق والكذب ؟ .. انسيت ما كان بيننا ؟

ــ أى امرأة لا تعجز عن اتقان التمثيل فوق الفراش .

ــ صدقنى لصالحنا ، كل ما فى رأسك أكاذيب .

ـ تظنين أن خوفى من المشنقة سيضطرنى الى تركك للرجل .
ـ لا رجل فى حياتى غيرك ، صدقنى ، أن لم تصدقنى فى الحال سيأخذوننا قبل شروق الشمس .
ـ كذابة ، ماكرة ، حطمت حياتى كلها بكذبة قصيرة ..
ـ صدقنى ، أنا أحبك ، لم ادبر شيئا الا من اجلك ، صدقنى .
ـ حطمت حياتى بكذبة لتفوزى انت وعشيقك بالثروة والحياة ..
ـ صدقنى قبل فوات الأوان ، انت حبيبى ، ولا أحد غيرك ، خرج الرجل من حياتى من زمان ..
ـ دبرت قسمة جهنمية ، فلى الجريمة ولك الرجل والثروة .
ـ لا فائدة ، انتهينا ، اللعنة ، راسك كالحجر ، كلمة أخيرة ألا تريد أن تصدقنى ؟
ـ كلا ..
ـ اذن ماذا تريد ؟
ـ ان اقتلك ..
ـ ثم تشنق ؟
ـ فى الف داهية ..

ودوى طرق على الباب كالقنابل . وطوقت البيت أصوات مهددة واقدام ثقيلة . صرخت كريمة بياس :

ـ جاء البوليس ، ألم أقل لك ؟

انقض عليها كالمجنون ، وقبض على عنقها بيدين عصبيتين ثم ضغط بكل قواه ، على حين اهتز الجو من زلزلة دفع الباب ..

# ١٧

فى السجن وحدك . لا يزار من ليس له أهل . والهام تخطر كالحلم وهى تعرف الآن الحقيقة . شفيت ولا شك من الحب ولعنته . وهاهى الجرائد تعيد القصة ، بل ها هى تكشف عما خفى عنك من أسرارها . والصور تملأ الصفحات . كريمة وعم خليل ومحمد رجب زوج كريمة الأول وصورتك والصورة الجامعة للأب والأم ، حتى الهام الملائكية ، وبسيمة عمران ، الجرائد لا تترك كبيرة ولا صغيرة . فى سجن الموت تتحرر من علاقات الحياة كلها فلا تهمك الفضائح . انت متحرر من الكبرياء والخجل كما كنت وانت فى الرحم . صابر يقبض عليه متلبسا بقتل عشيقته . صابر له قصة . بسيمة عمران امبراطورة الليل بالاسكندرية . عللته عند اليأس والافلاس بجاه أب مجهول . البحث عن سيد سيد الرحيمى المزعوم . الحب . القتل . صابر مثال فريد للجمال والرجولة . غزواتك فى الاسكندرية . الحب الأعمى الذى رفعه الى المشنقة . هو مثال أيضا للقسوة والانانية والدعارة . وكم عجبوا للجانب الخفى الذى كشف عنه حب إلهام . لم يفكر مرة فى اغوائها . اعترافاته المتتابعة بين يديها . رفضه استغلالها على أي وجه وتعففه عن أموالها وهو مختنق بأزمته الاخيرة . امه أنشأته على مستوى رفيع من الجاه فلم يكن بد من أن يعثر على الأب الوجيه المزعوم أو أن يرتكب أشنع الجرائم وهى القتل . وانظر كيف ارتاب المحقق فى أمرك من أول الأمر . ورصدت حركاتك فى الشوارع وبقالة كلوت بك وفتركوان . وكيف كلم عم محمد الساوى بأن يحدثك عن خيانة كريمة ؟ . أيها العجوز الماكر . يا لى من أحمق ! ، والزوج الأول محمد رجب

انكر اى علاقة بالقتيل ولكن العاشق وقع فى الفخ . ترى أانكر دفعا للشبهات أم انه قرر الحقيقة بلا زيادة ؟ . ليس فى الصحف مايقطع باليقين فى هذه المسألة التى ساقتك الى الهلاك . هل يمكن أن تعرف السر بعد الموت ؟ . وعم محمد الساوى اخطأ وهو ينسج اكاذيبه مما هدد التدبير كله بالفشل لولا ذهول العاشق فقد اعترف له بأنه شهد بخيانة الزوجة وفى ذات الوقت أخبره بأنها تزوره فظن لحظة أن الشاب قد فطن الى التناقض الواضح ولكن صدمته بحكاية الخيانة اذهلته عن ادراك التناقض الواضح . آه .. هذ حق ويا لى من احمق . ووصف تسللك للذهاب الى كريمة باسهاب . كيف عبرت السور الى العمارة المجاورة وكيف ضبطك البواب وهو راجع من صلاة الفجر حتى اضطررت الى ضربه حتى الاغماء ، وكيف انتبه المخبر الذى يراقب الفندق تحت البواكى اليك عند اصطدامك بشحاذ ضرير وسماع صوتك وانت تعتذر اليه ! . آه .. ذلك الشحاذ الكريه البشع الأعمى .

الجرائد لا تترك كبيرة ولا صغيرة . انها تشهّر بحماقتك وعماك كما شهرت بأمك . وهذا البحث الذى قامت به مجلة الربيع مع نخبة من رجال الفكر . تحدث استاذ فى الجامعة عن الزواج غير المتكافىء بين عم خليل وكريمة باعتباره المسئول الأول عن الجريمة . وقال كاتب يوميات صحفية : ان المسئول الأول هو الفقر ، هو الذى اغرى زوج كريمة الاول ببيعها الى زوجها الثانى ، وأن كريمة شهيدة لصراع الطبقات وفوارقها . وناقش استاذ بالخدمة الاجتماعية نشأة صابر فى احضان تاجرة اعراض ورواسبها فى نفسه . وقال استاذ علم نفس أن صابر مصاب بعقدة حب الأم وانه يمكن تفسير اندفاعه الاجرامى بأمرين مهمين ، فهو أولا وجد فى كريمة بديلا عن أمه فأحبها ، وأن لا شعوره أصر على الانتقام لأمه فقتل صاحب الفندق كرمز للسلطة وطمع فى مصادرة أمواله كما صادرت الحكومة أموال امه . وقال شيخ من



فى السجن وحدك . لا يزار من ليس له أهل

رجال الدين ان المسألة فى جوهرها مسألة ايمان مفقود ، وان صابر لو بذل فى البحث عن الله عشر ما بذله فى البحث عن ابيه لكتب الله له جميع ما طمح اليه عند أبيه فى الدارين .

قرأ صابر تلك التعليقات بفتور وحيرة ثم هز منكبيه استهانة وهو يقول : « لكن أحدا لم يعرف ان كانت كريمة صادقة ام كاذبة ، ولا ان كان الرحيمى موجودا ام لا » .

ويوما دعى الى مقابلة محام فى حجرة المقابلات بالسجن . وقد خيل اليه انه رآه قبل ذلك ولكنه لم يتذكر متى أو أين . وارتاح لوقار شيخوخته فصافحه وهو يتساءل :

ــ هل سيادتك المحامى الذى قيل ان الدولة ستختاره لى ؟

ــ كلا .

ثم بصوت منخفض عن الأول تواضعا منه :

ــ انا محمد الطنطاوى .

ولكن صابر وضح جهله بالمحامى الكبير ، فسأل بارتباك :

ــ من وكل سيادتك عنى ؟

ــ اعتبرنى صديقا متطوعا ..

فقال بنبرة اعتذار :

ــ لا تؤاخذنى ان صارحتك بأننى لا أملك مالا على الاطلاق !

فابتسم الأستاذ قائلا :

ــ انا الأخ الأكبر لاحسان الطنطاوى مدير ادارة الاعلان بجريدة ابو الهول .

ــ آه .. أتعلم اننى سألت نفسى أين رأيتك من قبل !

ابتسم الأستاذ فسأله صابر بتأثر :

ــ هل سعى لديك لتتولى الدفاع عنى ؟ .

ــ أجل ، اذا شئت ..

هتف صابر بغتة :

ـ الهام ! ؟ .

ابتسم الأستاذ مرة أخرى دون أن ينبس بكلمة فأغمض صابر عينيه مليا ثم فتحهما متسائلا :

ـ والأتعاب ؟

ـ المصروفات الضرورية للاجراءات فقط .

هل يمكن ! . كيف تتصور ! . نفقة جنازة الحب ! .

ـ لكنه جهد ضائع يا أستاذ محمد .

ـ مفهوم اليأس لا يوجد فى قاموسنا .

ـ قتلت اثنين مع سبق الاصرار ، واعترفت ..

ـ ولو ..

ـ والهام .. ، لم .. ؟

ـ قيل انه ليس لك أهل فليس بكثير أن تكون لك صديقة .

ـ حتى بعد أن عرفت .. ؟ .

ـ تقبل ذلك دون مناقشة .

جفف عينيه بطرف كمه وهو يقول :

ـ الدمعة الثانية فى عمرى كله ..

ـ لا عيب فى ذلك ، ولندخل فى الموضوع .

ـ لقد اعترفت كما قلت لحضرتك .

ـ هنالك ظروف .

ـ أي ظروف يمكن أن تنفعنى ؟

ـ النشأة ، الحب ، الغيرة ، سلوكك الأمين تجاه الهام .

ـ لن أجنى من ذلك الا مزيدا من التشهير .

ـ لن نسلم باليأس قبل أن يقع .

— الحكاية كلها كالحلم ، جئت من الاسكندرية للبحث عن ابى فوقعت احداث غريبة نسيت فيها مهمتى الأصلية حتى وجدت نفسى أخيرا فى السجن . . .

ثم وهو يتنهد :

— والآن اكاد أن انسى كل شيء الا المهمة الأصلية التى جئت من أجلها . .

— ولكن لا جدوى من التفكير فيها الآن ، ربما أشرت اليها فى مرافعتى باعتبارها أول جناية كتبت عليك قبل ان تولد . .

— ولكن الهام دعتنى بالتليفون ذات يوم لأمور تتعلق بأبى .

— وماذا قالت لك ؟

— لم اذهب لمقابلتها اذ كنت محموما بالانتقام من الأخرى .

— اؤكد لك انها لا تعلم عنه شيئا .

هز صابر راسه فى حيرة ثم قال :

— ان نشر أخبار الجريمة فى الصحف يعتبر اعلانا ضخما من نوع غير معهود ولعله يجيء بالنتيجة التى عجز عنها الاعلان المتواضع بجريدة ابو الهول .

— أنا على علم لا بأس به بأخبارك ولكنى على يقين من انك لن تجنى من الاهتمام بأبيك الآن الا التعب الضائع فان مجيئه أو عدمه سواء فى موقفك الأخير .

— لا يبعد أن جاء أن تحدث معجزة . .

— كيف ؟

— اعنى اذا صح انه وجيه حقا وذو نفوذ .

— فليكن اكبر الوجهاء ولكن كيف يمكن أن يغير قوانين الدولة ؟

— اسمع يا أستاذ ، لقد كانت أمى ذات نفوذ يوما ما ، فاستطاعت بنفوذها ان تتحدى قوانين الدولة تحت سمع المسئولين وبصرهم !

ـ بالله خبرنى عن الأمل الذى يراودك اذا جاء أبوك ؟
تردد قليلا ثم قال :
ـ ربما استطاع أن يسهل لى سبيل الهرب .
ـ تماديت فى الخيال ولن تجنى من وراء ذلك الا تعب القلب .
فنفخ قائلا :
ـ على اى حال انا شاكر فضلك ، وارجو ان تبلغ امتنانى الى الآنسة إلهام ، والى الأستاذ احسان ، وسوف تجدنى تحت أمرك فى كل ما تريد ، واما عن املى المضحك فاننى لن أيأس كما تقول انت الا اذا وقع اليأس .

***

وقدم صابر الى المحاكمة . واحيلت الأوراق الى المفتى . ونطق بالحكم . وقد تابع المرافعات باهتمـام ولكنه تلقى الحكم بذهول رغم توقعه له من أول الأمر .

***

وفى السجن دعى الى مقابلة الأستاذ محمد الطنطاوى . وقابله الأستاذ بعطف وشجعه بكلمات مناسبة ثم قال له :
ـ لا يزال امامنا الاستئناف ثم النقض .
فسأله بحزن :
ـ كيف حال الهام ؟
ـ ليست على ما يرام ، والظاهر ان مأسـاتها التى تحدثت عنها الجرائد قد هزت اباها من الأعماق فجاء من اسيوط لزيارتها وأصر على أخذها معه بعض الوقت تغييرا للجو والتماسا للصحة .
فارتفع صوت صابر وهو يقول :

ـ اذن استيقظ من جحوده ، أما أبى . . .

ابتسم المحامى الشيخ قائلا :

ـ بهذه المناسبة هل تصدق أننى احمل لك انباء عن أبيك ؟

هتف ذاهلا :

ـ لا . .

ـ بلى . .

ثم مستطردا بعد وقفة قصيرة :

ـ ألم تسمع عن الصحفى الذى كان يوقع عموده اليومى بامضاء « الصحفى المخضرم » ؟ . طبعا لا ، فلقد انقطع عن العمل منذ عشرين عاما ، وهو جار لى بمصر الجديدة ، وكان قديما أستاذى بكلية الحقوق ، ومن أفقه من عرفت فى الشريعة ، وقد جاءت سيرتك على لسانى وأنا مجتمع به أول أمس ، ولما قصصت عليك قصة أبيك قاطعنى :

ـ أتقول سيد سيدّ الرحيمى ! ! . لكننى أعرفه !

فقلت له لعل المعنىّ شخص آخر ، فقال :

ـ سيد سيد الرحيمى ، الوجيه الغنى الجميل ، وقد كان شابا فى الخامسة والعشرين أو نحو ذلك منذ ثلاثين عاما . .

هتف صابر :

ـ ألم ير الصورة فى الصحف ؟

ـ انه الآن لا يعرف الصحف وفضلا عن ذلك فهو ضرير .

ـ يا للخسارة ! . . ولكن لا يمكن تجاهل التشابه فى الاسم . . والصفات . . والعمر . .

ـ هذا ملحوظ بطبيعة الحال .

ـ وأين يقيم ؟ .

ـ للأسف لا يدرى شيئا عن ذلك .

ـ ألم يحدثك عن زواجه الأول ؟

قال المحامي مبتسما :

- قال انه لم يكن له من هواية فى هذه الدنيا الا الحب .

- لكن أمى هجرته ، وتلك حادثة لا يمكن أن تنسى .

- فى حياة رجل كالرحيمى ، تعد فيها النساء بعدد الأيام ، لا يمكن أن تعرف من الهاجر ومن المهجور ..

- أمى لم تحدثنى عن ذلك الجانب من حياته .

- ربما لم تعرفه .

- ولكن الزواج علاقة لا تخفى .

- قال على برهان - أعنى الصحفى المخضرم - انه كان يتزوج كما كان يرافق ، وكان يمارس الحب بشتى أنواعه ، الجنسى والعذرى ، ولا يعتق ناضجة أو مراهقة ، أرملة أو متزوجة أو مطلقة ، فقيرة أو غنية ، حتى الخادمات وجامعات الأعقاب والمتسولات !

- يا للعجب ! .

- نعم ..

- ألم يوقعه ذلك فى متاعب ؟ .

- كان يقهر المتاعب .

تساءل صابر بعينين حائرتين :

- ومهنته ، ماذا كانت مهنته ؟ .

- كان وما زال مليونيرا ، لا عمل له الا الحب ، وكلما وقع فى مأزق هاجر من مدينة الى مدينة ، مواصلا ممارسته لهوايته ..

- ولكن وثيقة زواج أمى ما زالت معى .

- وربما وجدت وثائق أخر لا حصر لها .

- ألم ترفع عليه قضايا شرعية ؟

- من يدرى ، ولكنه طليق وفى هذا ما يكفى ...

فقال صابر بسخرية مرة :

ـ وقوانين الدولة ؟ !

ـ لكنه لم يقع ، وقال الأستاذ برهان انه غوى مرة عذراء من أسرة كبيرة محافظة ولكنه غادر القطر فى اللحظة المناسبة !

ـ ومتى رجع ؟

ـ لم يرجع ، تعلق فؤاده بالعالم الكبير ، وراح ينتقل من بلد الى بلد ، بل من قارة الى قارة ، معتمدا على ملايينه ، جاريا وراء النساء من كل شكل ولون .

ـ وكيف عرف صاحبك ذلك ؟

ـ كانت تصله منه رسائل على فترات متباعدة جدا .

ـ وهل عنده فكرة الآن عن مكانه ؟

ـ كلا ، كانت الرسائل تجيئه بلا عنوان ليس عليها سوى اسم البلد اذ أنه لا يحب الاستقرار فى مكان اكثر من أيام .

ـ لا شك أنه رجل مشهور فى الخارج .

ـ ذلك هو الراجح بالنسبة لأى مليونير وان قضى الحذر فى مثل حالته باتخاذ أسماء وشخصيات شتى .

ـ متى تسلم صاحبك آخر رسالة منه ؟

ـ صاحبى لم يعد يذكر شيئا على وجه التحديد ، ولا تنس أنه جاوز التسعين عمرا ، ولكنه يذكر أنه تلقى رسائل منه من جميع القارات .

ـ لكنه يعرف بلا شك كل شىء عن أسرته .

ـ لا أسرة له فى مصر ، كان أبوه مهاجرا من الهند ، وقد عرفه صاحبى فى نادى الصفوة فتوطدت بينهما أسباب الصداقة ، وعن سبيله عرف ابنه الوحيد سيد ، وهو ابن وحيد لا أخ له ولا أخت ، وقد مات الأب منذ أربعين عاما تاركا لوريثه ملايين

الجنيهات التى اقتناها من تجارة المشروبات الروحية ، فلا أحد له فى مصر الا الذرية التى يحتمل أن يكون أنجبها فى مغامراته العديدة.

ــ مثلى أنا ! .

ــ مثلك انت اذا كان هو أباك حقا .

ــ لا ينبغى أن أشك فى ذلك بعد ما عرفت من خصاله !

ابتسم المحامى ملتزما الصمت .

ــ خصاله هى خصالى ولكن بينما يلهو هو فوق الكرة انزوى أنا فى السجن منتظرا حبل المشنقة .

ــ لكنه لم يقتل !

ــ صاحبك الضرير لا يعرف كل شىء .

ــ هو على أى حال مليونير .

ــ الأهم من ذلك أن قوانين الدولة لا تهدده .

ــ لكنك كنت تعلم أنك فقير وخاضع لقوانين الدولة .

ــ وكنت اعرف أيضا من يكون أبى .

ــ وماذا كانت النهاية ؟ .

ــ أجل للأسف ، أمى عرفته خيرا من صاحبك المخضرم، فاستطاعت أن تقتنى ثروة طائلة وأن تتحدى القانون ، ولولا سوء الحظ . .

ــ لكنه لا يعرف سوء الحظ .

ــ ولم يكن من المعقول أن ارضى بأن اعمل قوادا بعد أن عرفته أصلى .

ــ لم تحسن تقليد الأصل .

ــ بحثت عنه .

ــ وباعترافك نسيته .

ــ بسبب امرأة وهو عذر خليق بأنه يقبله !

ــ لكن ليس هو حاكمك .

ــ لكنه هو الذى نسينى .

ــ ربما ظنك فى براعته وأنك غير محتاج اليه !

ــ لو لم تهجره أمى لكان لى ذلك .

ــ لكنها هجرته .

ــ وما ذنبى أنا ؟

ــ لا ذنب لك فى ذلك .

ــ وذلك كان السبب الأول لجريمتى .

ــ سبب بعيدا جدا لا يعتد به عند تحديد المسئولية .

ــ ولكنه اخطر من سبب يعرض صدفة مثل مقابلة كريمة .

ــ سيظل القانون هو القانون .

تنهد بعمق ثم قال :

ــ لعله من الخير الا أقطع بانه ابى !

ــ ذلك كان رأيى ولكننى وجدتك متعطشا لمعرفة اى شىء .

ــ وماذا عرفت ؟ ، يخيل الى أننى لم أعرف شيئا مجديا .

ــ بلى للأسف .

ــ وفضلا عن عدم جدواه فما زال بعيدا عن اليقين .

ــ للأسف .

ــ وبسبب هذه المعرفة الطارئة أصبح الرجل اعز منالا من الأول .

ــ هذا راجح جدا .

ــ وقد ضاعت الحرية والكرامة والسلام والهام وكريمة !

فلاذ المحامى بالصمت مرة اخرى ، فقال صابر :

ــ ولم يبق الا حبل المشنقة .

فقال المحامى بنبرة عتاب :

ــ هنالك النقض .

وتردد مليا متفكرا ثم قال مبتسما :

ــ وثمة خبر آخر حدثنى به الأستاذ برهان . .

ــ ما هو ؟

ــ ما يدرى الأستاذ يوما الا والرحيمى يطرق بابه !

هتف صابر :

ــ حقا ؟

ــ كان ذلك فى اكتوبر الماضى !

صرخ صابر بلا وعى :

ــ اكتوبر !

ــ أجل .

ــ كنت فى ذلك الوقت أبحث عنه فى الاسكندرية .

ــ وقد أمضى فى الاسكندرية ستة أيام .

ــ يا للجنون ! ، كنت أسأل مشايخ الحارات ولكننى أجلت فكرة الاعلان فى الصحف طالما كنت فى الاسكندرية أن أتعرض لسخرية أعدائى وجها لوجه .

ــ ألم تكن المهمة أخطر من سخرية الأعداء ؟

ــ بلى واحسرتاه ..

ــ لا تحزن ، لعله لم يكن يطلع على الصحف .

ــ هيهات أن يهون ذلك من حسرتى . .

ــ لا تجعلنى أندم على مكاشفتى لك .

وجعل ينظر اليه فى حسرته ثم قال محاولا انتزاعه منها :

ــ كان فى طريقه الى الهند وقد أهدى الى صاحبى كتاب

« كيف تحتفظ بشبابك مائة عام » كما أهداه صندوقا فاخرا من الخمر المعتقة .

ـ لا يبعد أن يكون هو الذى رأيته فى السيارة ، وهل وقع على هديته بامضائه ؟

ـ أظن ذلك .

ـ الا يمكن أن ارى الكتاب ؟

ـ سآتيك به .

ـ واذا أردت الاحتفاظ به المدة الباقية ؟

ـ لا أظن صاحبى يرفض طلبك .

ـ شكرا ، وماذا أيضا ؟

ـ وقال صاحبى انه ما زال محتفظا بحيوية الشباب وأفكاره وضحكاته وقال له : « انى أتجول بين قارة وأخرى كما يتجول أصبعك بين طرفى شاربك » وقال له أيضا : « لا تعد نفسك من الأحياء حتى تطوف بأربعة أركان المعمورة وتمارس فيها الحب » .

ـ الم يذكر فى الحديث أحدا من أبنائه ؟

ـ محتمل أن يكون له فى كل قارة أبناء ولكنه لا يتحدث الا عن الحب ، وقد شرب حتى ثمل ثم غنى أغنية غرامية سمعها فى احدى قبائل الكنغو ..

ـ يسكر ويغنى ولا يخطر له أن يسأل عن أبنائه ؟

ـ ربما تغير مفهوم الأبوة اذا امتدت فوق كثرة غير عادية .

ـ لكن الأبناء هم الأبناء قلوا أو كثروا !

ـ كثيرا ما تقع متناقضات غريبة اذا تصور أب قوى أبناءه على مثاله .

ـ يا له من دفاع !

ـ نحن نغتفر لبعض الشواذ هفوات لا نغتفرها لغيرهم فما بالك بشخص غريب الأطوار كذلك الرجل !

ـ آه .. رأسي يدور ..

ـ لا تجعلنى أندم ..

ـ لعله ما زال بمصر .

ـ لقد أرسل اليه بطاقة تحية من الخارج .

ـ لعله يزورنا قبل الاعدام .

ـ لا شيء مستحيل .

ـ آه .. كنت أزور الهام وأخاك الأستاذ احسان كل أسبوع ولا أدرى اننى بطريقة ما قريب منك وانك جار لبرهان صديق الرحيمى !

ـ هكذا تقع الأمور عادة ..

ـ كانت هناك فرصة نادرة للبحث .

ـ الأمل مع ذلك لم ينعدم .

ـ كيف .. اى أمل ؟

ـ أن نستبدل المؤبد بالاعدام .

ـ اى امل !

ـ ستجد عند ذاك فرصة مؤجلة لاستئناف البحث .

ـ واذا تأيد الاعدام ؟

بسط المحامى راحتيه فى تسليم ثم قبضهما فى وجوم .

ـ فى حالة الاعدام يبقى لن من الزمن ما يستنفده النقض ثم الفترة السابقة للتنفيذ ، ألا تستطيع أن تقدم لى فى تلك المدة خدمة حقيقية بمحاولة الاتصال بالرجل ؟

ـ يا بنى ، القانون هو القانون ، والرحمة والواجب يقتضيانني الا أضيع وقتى فيما لا طائل وراءه ، والأجدى ان أراجع ملف القضية والقانون الجنائى .

ـ بالرغم مما سمعت عنه لا تريد أن تقتنع بقوته ؟

- انا رجل قانون ، واعلم أن مصيرك بيد القانون وحده .
- قد يدركنى فى فترة الانتظار أفلا تأخذنى على قد عقلى ؟
- ان يكن حقا كما تتصوره فأهلا به وسهلا ولكن لا سبيل من ناحيتى اليه .
- انك رجل ذو خبرة وعلم وجارك يبدو أثيرا لديه .
- الاتصال به ان لم يكن مستحيلا فهو يستلزم وقتا لن يتسع لك ، ولا املك وسيلته بحال ، سوف يتطلب منا الاتصال بجميع سفاراتنا فى الخارج كخطوة أولى ، ولا يبعد ان ينتقل فى أثناء الاتصالات الى بلد لا تمثيل سياسى لنا فيه للأسباب التى تعرفها . .

آه . . الذكرى التى تموت وهى على طرف اللسان . وتشكيلات السحب التى تعبث بها الرياح . وعصارة الألم المنصهرة وراء القضبان . والسؤال الأعمى والجواب الغشوم .

وقال :

- يبدو انه لا جدوى من الاعتماد على الغير .

فابتسم المحامى فى تسامح وهو يقول :

- بل هناك جدوى فيما هو معقول .

فهز منكبيه قائلا :

- فليكن ما يكون .

# مؤلفات الأستاذ نجيب محفوظ

| | | الطبعة الأولى | | |
|---|---|---|---|---|
| مصر القديمة | ( مترجم عن الانجليزية ) | ١٩٣٢ | | |
| همس الجنـــون | مجموعة أقاصيص | ١٩٣٨ | الطبعة الرابعة | ١٩٦٣ |
| عبث الأقدار | قصة تاريخية | ١٩٣٩ | » » | ١٩٦٣ |
| رادوبيس | » » | ١٩٤٣ | » الخامسة | ١٩٦٤ |
| كفاح طيبة | » » | ١٩٤٤ | » » | ١٩٦٤ |
| القاهرة الجديدة | | ١٩٤٥ | » » | ١٩٦٢ |
| خان الخليـــلى | | ١٩٤٦ | » السادسة | ١٩٦٥ |
| زقاق المدق | | ١٩٤٧ | » السادسة | ١٩٦٥ |
| السراب | | ١٩٤٨ | » الرابعة | ١٩٦٣ |
| بداية ونهاية | | ١٩٤٩ | » السادسة | ١٩٦٥ |
| بين القصرين | رواية من ثلاثة أجزاء | ١٩٥٦ | » الخامسة | ١٩٦٤ |
| قصر الشوق | | ١٩٥٧ | » » | ١٩٦٢ |
| الســـكرية | | ١٩٥٧ | » » | ١٩٦٤ |
| اللص والكلاب | | ١٩٦١ | » الثالثة | ١٩٦٤ |
| السمان والخريف | | ١٩٦٢ | » » | ١٩٦٥ |
| دنيـــا الله | قصص قصيرة | ١٩٦٣ | | |
| الطـــريق | رواية | ١٩٦٤ | » الثانية | ١٩٦٥ |
| بيت سيىء السمعة | قصص قصيره | ١٩٦٥ | | |
| الشـــحاذ | رواية | ١٩٦٥ | | |

**تحت الطبـــع :**

| | |
|---|---|
| أولاد حارتنـــا | رواية |
| ثرثرة فوق النيل | » |




الثمن ٣٠ قرشا